غازلتُ فى شَطّيه أبــــكار المُنَى عَصْرَ الشباب [٦٨٢]
والظل يبـدو فوقه كالخال فى خد الـكَعاب
لا بل أدارَ عليه خَوْ فَ الشمس منه كالنِّقاب
مثل المجَرَّة جرّ فيها ذيله جَرّ السـحاب

* * *

وله فى تمثال نعل النبي

وقال فى تمثال نعل النبى صلى الله عليه وسلم من قصيدة :

سَجَامٌ لَعَمْرى أدْمُع وسِـجَال لِأنْ عَزَّ من نعل الرسول مثالُ
وهل يملكُ العينين فى مثلها سِوى خلىٍّ عداه عن هُداه ضـلال

ومنها :

مثالٌ إلى نعل المُطَهَّر يَعْتَزِى فإعْزازُه للحُسنَيَيْن مَنـال
أُقَبِّـله شَوْقا تملَّكَنى لِمَـا حكى وشَهِيدى لوْ يفوهُ قِبال
وَإِلّى اشتراكٌ فى التزام شرا كه وحسْبِىَ منـه عصمةٌ ومَنال
ومعْقِدُه مما عقدتُ به الهوى فلا صحّ عزمى إن صحا لىَ بال
مرادىَ من تمريغ شيبى عليه أن تَسِـحَّ من الرُّحمَى علىَّ سِجال
ومن وضعه فى حُرِّ وجهى ورفعه لِقمَّــــة رأسى أن يَعِزّ مآل
فأحْظَى بحظّى من جِوار محمد وهـل بَعْدَ تنويل الجوار نوال

وله فى ذلك المعنى أيضا رحمه الله :

لمثال نعل المصطفى أُصْفِى الهوى وأرى السلوّ خطيئة لن تُغْفَرا
إذا أصافحه وأمسح لاثمـا أركانه فمعـــــزّزا وموقّرا
اعتزازِى فى جِهار تذلُّلى لجـــــلاله أثرًا بقلبِى أثَّرَ

إن شاقنى ذاكَ المثالُ فطالما   شاق المحبَّ الطيفُ يَطْرُقُ فى الكَرى
لى أُسْوة فى العاشقين وقصْدُهم   لثمُ الطُّلول لأهْلِهِن تذكُّرا
وبكاؤهم تلك المعاهدَ ضِلّةً   تحت الظَّلام على الغرام توفُّرا
أفلا أُمَرِّغُ فيه شيبىَ راشدا   وأُريق دمعىَ وسْطَه مستبصرا
ثقةً بإثرائى مِنَ الخيْراتِ فى   شَغَفِى بنَعْلىْ خيرِ مَنْ وَطِئَ الثَّرى

* * *

[٦٨٣] وقال فى التشوق إلى الضريح الشريف على الدفين به صلوات الله وسلامه : (وله فى التشوق إلى الضريح النبوى)

لَوْ عَنَّ لى عَوْنٌ من المقدار   لهجرتُ للدار الكريمة دارِى
وحللتُ أطيبَ طِينة من طَيْبة   جارا لِمَنْ أَوْصَى بحفظ الجار
حيثُ استبانَ الحقُّ للأبصار   لَمَّا استثارَ حفائظَ الأنصار
يا زائرين القبرَ قبرَ محمـــد   بُشْرى لكم بالسبق فى الزُّوَّار
أَوْضَعْتُمُ لنجاتكم فوضعتمُ   ما آدكم من فادِحِ الأوزار
فوزوا بسبقكمُ وفوهوا بالذى   حَمَّلتكم شوقا إلى المختار
أَدُّوا السلامَ سلِمْتُمُ وبرَدِّه   أرجو الإجارة من ورُودِ النار

[استطراد لما قيل فى نعل النبي صلى الله عليه وسلم]

قلت : وإذْ جرى ذكرُ النعل النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، فلا بُدَّ أن نورد جملةً مما قيل فى مثالها على جهة التبرُّك ، والتوصُّلِ بصاحبها إلى الله سبحانه ، أن يُفرِّجَ عنا بجاهه كُرَبَ الدنيا والآخرة ، وأن يجعلنا من الذين حازوا الرتب الفاخرة ؛ وظفروا بالمقام الأسنى ، وفازوا بالزيادة والحسنى .

لمحمد بن فرج فى نعل النبى مخمسا لأبيات أبى الربيع ابن سالم

فمن ذلك قولُ الشيخ أبى عبد الله محمد بن فَرَج ، مخمسا لأبيات الإمام الشهير أبى الربيع بن سالم الـكلاعى ، رحمه الله ، التى على رَوِيِّها وقافيتها سلك ابنُ الأبَّار ، رحمه الله ، فى الأبيات المذكورة آنفًا :

خبالٌ عرا ما إنْ جناه سوى النوَى
نوى مَنْ نوى من كَشْفِ باواى ما نوى
فيا مُنكِرًا ما قد عرانىَ فى الهوى
« خواطرُ ذى البلوى عوامرُ بالجوى   ففى كلِّ يوم يعتريه خبـالُ »
سمِعتُ اسمَه الأعلى الشريفَ المُشَرَّفا
نخيلتُنى يعقوب ذُكِّر يوســــفا
ومن شيم الصب المُتيَّم ذِى الوَفا
« متى يدْعُ داعٍ باسم محبوبه هفا   فيهتاجُ بَلْبَالٌ وَيُكْسَفُ بال »
رعى الله صبًّا بالهوى نفسُه سمتْ [٦٨٤]
له آية فى الحب بالـكَتْمِ أُحْـكِمَت
فما لَمْ يَلُحْ من حبــه أثرٌ صَمَت
« وإن يَرَ من آثاره أثراً هَمَت   له من غروب المُقْلتين سِجال »
فيا نفسِىَ الجـــالى دُجاها هلالُها
أما إنه نور البـــدور كمالُها
ألا فاعذِرى نفْسا تحِن فخالُها
« كحالى وقد أبصرت نعلا مثالُها   لنعل الرســول الهاشمىِّ مثال »
ويأيها الرّانى إلىَّ مُفَنِّـــدَا
وقد كدتُ لولا نهىُ حبى لأَسْجُدَا

هوًى وجوًى إن يَبْلَ دهرٌ تجدَّدا

«عرانىَ ما يَعْرُو المحبَّ إذا بدا   لِعَينيه من مَغْنى الأحِبَّة آلُ»

ذكرت به عصْرًا مضى ومَعاهدا

فنُودِيتُ من نفسى نداءَ مُساعدا

وحَدْتَ فعاوِدْ لثمَه تُدْعَ وَاجدا

«فقبَّلْتُ فى ذاكَ المِثَال مُعاودا   أرى أنَّ ذُلِّى فى هواه جَلال»

وشبَّهتُه صَفْحا ونفحا حديقةً

مُفتّحة الأزهارِ غَنًّا أنيقة

سَقَتْها غَوَادٍ قد غَدَوْنَ غديقة

«ومَثَّلتُه نعلَ الرسول حقيقة   وإنى لأَدْرى أنَّ ذاكَ مُحال»

فيا جاهلا داءَ المحبينَ والدَّوا

غوَيْتَ ولا تدرى فلا كان مَنْ غوى

أتُنكِر لَثْم المِثْل فى حالة النَّوَى[1]

«ومن سنة العُشَّاق أَنْ يبعثَ الهَوى   مثالٌ ويَقْتادَ الغرامَ خيال»

تساوَتْ معانى الحُبِّ فى كل مَقْصَدِ

فمِنْ مُقْلة عَبْرَى وجَفن مُسَهَّدِ

وَبَرْحٍ وَتَهْيام وشوق مُجَدَّد

«فلا فرْق إلا أنّ حُبَّ محمد   هُدًى والهوى فيمَن عداه ضلال»

انتهى .

* * *

(١) فى هامش ص عن نسخة أخرى : «أتنكر عرو الحب ... الخ» .

وله فى مدح النعال على حروف المعجم

ولمحمد بن فرج المذكور عفا الله عنه ، وتقبّل بكرمه ورحمته منْه ؛ [قطع](١) على حروف المعجم ، فى لزوم ما لا يلزم ؛ وسماها بالقطع المُخَمَّسه ، فى مدح النعال المقدسه .

قال رحمه الله حسبما نقلتُ من خطه :

وآثرت التخميس على التعشير ، ليكون أسرعَ لحفظها ، وأبرع للفظها ؛ وأيضا فوجودُ خمس من القوافى فى نظمٍ لزوميٍّ أو نثر ، أهونُ على الفكر من [٦٨٥]
وجود عشر . هذا وإن كان اللسانُ العربى فصيحا فسيحا لا يضيق ، ولا يكاد يخرج عنه لسان كل فريق ؛ لكن ليس من شرط المطالعه ، أن يحفظ الغريبَ من الكلام كلُّ مَنْ طالعه ؛ واللهَ سبحانه أسأل أن يجعلها من القرباتِ التى تنفع ، والوسائل التى تشفع ، والتمائم التى تذود كلّ سوء فى الدارين وتدفع ، وصلى الله على الشفيع المشفع ؛ وسلم تسليما ، من آفة الانفصال سليما .

قافية الهمزة

أَتمثالَ نَعْلٍ كان يلبَسُها الذى ... إذا عُدَّتِ الأرسالُ ليس له كُفْءْ
أبوالقاسم الأسمى الذى وطِئَ السَّما ... بأخمصِه ليـلا فشرَّفَها الوَطْء
أُقبِّل فى طِرسٍ حَواكَ كأننى ... عليلٌ وفى تقبيل شكْلِكَ لِى البُرْء
أنا المرءُ بالآثار ممَّن هَوِيتُـه ... قَنَعْتُ وقد يُخْطِى إذا قنَعَ المرء
أأحمـدُ لا يهوَى الفؤادُ سواكَ ما ... تقدَّم عودَ الشىء فى الرُّتبة البدْء

قافية الباء

بنفسِى مِثالُ النَّعلِ نَعـلِ محمّدٍ ... نَبِىِّ الهُدَى المخصوصِ بالقرب والحُبِّ

(١) زيادة يقتضيها السياق .

بدا لى فكان البـــدرَ جَلَّى بنوره غياهبَ أشجانٍ ترا كَمْنَ فى قلبى
بكتْ مُقلتى شوقاً للابسها وهلْ بمُطفئةٍ نارَ الأسَى دمعةُ الصَّب
بعثتُ به شخصا من الأنس مَيِّتًا فبشَّرنى بالقُرْب منـــه على قُرب
بموْطِئها قد شَرَّف الله تُرْبةً عليهـا مَشَتْ فالتِّبْر يَحْسُد للتُّرْب

قافية التاء

تلوتُ وقد أبصرتُ مِثْلاً لِنعْل مَنْ تَميَّز بالوصف الشريف وبالنَّعْتِ
تَرَفَّعْتِ مِن نعلٍ بأخمصِ مرسَـلٍ قدَ أنقذَ مِن شر الطَّواغيت والجِبْت
تقدستِ الأرض التى قد مَشَى بها عليهـا فصار الفَوقُ يَغْبِطُ للتَّحْت
تمنَّيتُ لو أنّى ظفرتُ بتربهـــا فمرَّغتُ فيه الخدّ للحين والوقت
تمنِّىَ صبٍّ عاشق دنِفٍ جوٍ مُعنًّى كئيبٍ دأبُه حفظ ذى السِّت(١)

قافية الثاء

ثمارَ الأمانى قد جنى الطَّرفُ إذا رأى مِثالَ نِعال المصطفَى من أولى البَعْثِ
[٦٨٦] ثَرَاها ومَنْ أَعْـــلاهُ طابَ نسيمُه وما أنا فى هذى اليمين بذى حِنْث
ثُرَيَّا السَّما وَدَّتْ لِتنقَل بالثَّرَى إليكَ فلم تُنْقَل فهاهن فى بثٍّ(٢)
ثَوَيتَ به ياطيبُ فهو كمِسْكةٍ يَفُوقُ شذاها المسكَ فى الطِّيب والمُكْث
ثَوَابِىَ يامَنْ شُرِّفَتْ بلباسِـهِ على مَدْحها تأمينُ خوفِىَ فى البَعْث

قافية الجيم

جَلَلْتِ أيا نَعلاً بأخمصِ سـيدٍ إلى حضرة القُدس العَلِيّة عارجِ

(١) يريد الصفات الست ، المذكورة فى البيت .
(٢) فى الأصول : « ذوبث » . والتصويب عن هامش ص .

جُبِلْتُ على حُبٍّ له فتى بدا ... مِنَ آثارهِ شيءٌ تثور لواعجى
جَنَى الأنفُ منها زَهْرَ رَوْض إذا انبرَى ... نسيمُ شَذاهُ بذَّ عَرْفَ النوافج
جَبِرتُ به صَدْعًا جناه الهوَى وما ... شُغِفْتُ بغُنْج الخَوْدِ ذات الدَّمالج
جزَى الله عنِّى القلْبَ خيرًا فإنهُ ... تَعلَّق بالهادِى لأهـدَى المناهج

قافية الحاء

حَظيتِ أيا نعلاً بأخمص مرسَلٍ ... قَدَ اُنزل ربُّ العرش فيه ألم نشْرَحْ
حَلَلتِ بساطَ القُدس حين عُروجه ... ليُوضح فى المسْرَى له الله ما أوضح
حَلَفْتُ : لَأرضٌ قد وطِئْتِ تُرابَها ... لَـكالمسك مفضوضًا أما إنَّهُ أفْـوح
حلاتُ نِطاقَ الـكَتْمِ لمَّا رأيْتُها ... فصرَّحَ منْ حُبِّى اللسانُ بمـا صرَّح
حَبِيِى الرسولُ المصطفى ومِنَ اُجْلِهِ ... مَدَحتُ لنعلَيْهِ وحُقّ بأَنْ أَمْدح

قافية الخاء

خُذيها أيا نفسِى المشوقةَ كُلَّما ... سَرَى نَفَسٌ مِمَّن هَوايَ بِه بَذَخْ
خَميلةَ شِعْرٍ أُودِعَتْ مَدْح نَعْلِ مَنْ ... بِشرْعته كلَّ الشرائع قد نَسَخ
خَضَبتُ نِصالَ الشَّيْب لما رأيتُهـا ... بدمع مُحِبٍّ عَقْدَ كِتمانِه فسَخ
خُطَاها أفادَ الأرضَ زَهْوا فأنفها ... على قِمم الشُّهْب المنيفةِ قد شَمَخ
خُصِصْتِ أيا نعلا بأجْـلَى مزية ... تَبِينُ لمن فى العـلم أخمصُه رسَخ

قافية الدال

دعِ الطَّرْفَ يسْرَحْ فى رياضٍ تزينَتْ ... بمدح نعالَىْ مصطفى الرُّسْلِ أحمـدَا
دُعِى فمشَى فوق السماء فلم يَطَأْ ... بهـا مَوضعا إلا وأصبـح مَسْجِدا

دَنا فتدلّى قابَ قوسَين إذ دنا   فأوحى الذى أوحى إليه من الهُدَى
دُنُوَّ حبيب من حبيبٍ لأجـله   لآدم أملاكَ السموات أسْجَدا
[٦٨٧] دَرَى فضلَه مَنْ فى السماء فكلهمْ   يرَوْن وجيـــــــهَ المُرسَلِينَ محمَّدا

قافية الذال

ذَرِ الأنفَ يستنشقْ خمائلَ رَوْضةٍ   تبَذُّ نسيمَ المِسكِ أنفاسُها بذًّا
ذكرتُ به نعلاً لأكرم مرسـلٍ   بَراهُ الذى أعـلاهُ فى رُسْله فَذًّا
ذَرُورُ ثَراها المسكَ فاقَ فإن تسَلْ   عَنَ أذكى من المسك الفَتيقِ شَذًا فَذَا
ذُكاءُ تَمنَّتْ أنْ تكونَ سَحَاءَةً   تَعِى مَدْحَها أوْ جِلْدةً مِثْلَها تُحْذَى (١)
ذَوُو حُبِّه الْتذُّوا برؤيتهـا كما   بثوب ابن يعقوبٍ أبوه قَدِ الْتَذّا

قافية الراء

رَأيتُ مثالَ النَّعْلِ نعـلِ الَّذى به   إلى حضرة القُدْس العَلِيَّةِ قد أُسْرِى
رَعَى الله منها نعـلَ أىِّ كريمة   برجلٍ علتْ فخرا على قمة النسْر
رُوِى أنه نُودِى وقد رام خلعها   وماء الحيا فى وجنتيـه معًا يجرى
رسولِىَ لا تَخْلع تُشَرِّفْ بوطئها   بساطىَ يا معنَى وجودىَ يا سرِّى
رَفعتَ لواءَ المـكرُماتِ جميعها   بيُمْنَى العُلا والناس فى قبضة الذَّرّ

قافية الزاى ، وهى متجانسة

زَفير اشتياقٍ إذ بدا نعـلُ مُعتِقى   مخاطِبَتِى كَتْمِى وعَزْمىَ قد عزَّا

(١) السحاءة : قطعة صغيرة من الورق تؤخذ من القرطاس . وتعى : تحفظ . يريد أن الشمس تتمنى أن تكون هذه السحاءة التى تحوى مدح نعل النبى ، أو أن تكون قطعة من الجلد مثلها .

زَكَتْ شفةٌ قد قبَّلَتْ نعلَ سيدٍ ... به عالَمِ الإنسانِ أجمعُه عَزَّا
زَعِيمٌ به هَنَّا السُّرورُ لنا وفى ... مصائبنا العُظمَى المصابُ به عَزَّى
زُهُوٌّ سناهُ ظُلْمَةَ الشِّركِ قد جلا ... ولولاهُ كُنَّا نعبدُ اللَّاتَ والْعُزَّى
زَمانِىَ لا أنفكُّ لاثمها أرَى ... هَوانَ هَوانا يا أخلاَّءنا عِزَّا

قافية الطاء

طَوَتْ بعضَ مامن وحْشةٍ نشر النَّوَى ... نِعالٌ خُطاها فى المكارم لاتُخْطا
طفِقْتُ أنادى حين لاحت لناظرى ... وزَنْد الهَوى بالسِّقط قد وصلَ السِّقْطا
طِبِ أنعِمْ تنزَّه يا فؤادى فهذهِ ... نِعالُ الَّذى جاوزتَ فى حُبِّه الفَرْطا
طُبِعْنا على حبٍّ لهُ فتى يلُحْ ... لنا أثَرٌ ننثرْ مِنَ أدْمُعِنا سِمْطا
طَلَعْنا نجومًا فى هَواهُ فأُفْقُنا ... قدَ أخلدَ عنه النجمُ للأرضِ وانحطَّا

قافية الظاء

ظَلِلْتُ أنادى إذْ رأيتُ نِعالَ مَن ... قدَ أنقذنى والحمدُ للهِ من لَظَى
ظهرتِ لنا فى شكل بدرٍ فلم نكُنْ ... لبدرِ الدجَى مِن بعد ذَاكَ لِنلْحَظا [٦٨٨]
ظمِئْنا فكنتِ الماءَ مقلوب هَمْزَةٍ ... نَقَعْتِ وميمٍ جِىْءَ فى إثْرها بظَا
ظهيرى رسولَ اللهِ أنتَ لَحظْتَنِى ... بِهَدَى وفى الأخرى ترَى لِمَن الحظَّا
ظِلالُكُمُ مِنْ كلِّ سُوءٍ حَفِظْنَنِى ... وما كنتُ لولا الفضل منكم لأُحْفَظا

قافية الكاف

كرُمتِ أيا نعلا لأكرم مرسَلٍ ... بِه وهْوَ وُسْطَى السِّلك قدخُتِمَ السلكُ
كأنكِ فى عَيْنَىَّ نافجةٌ خلَت ... وأبقَى بها للأنف منْ نفحهِ المسْكُ

كتمتُ فلمَّا لُحْتِ لِى باحَ مَحجرى بسرٍّ معنًّى قلبه بالنَّوى يشكو
كفانِى كفانى أن بَدَا أثرٌ لِمَنْ به من إسار الشِّرْك قلبىَ مفتَك
كريمُ كرامِ الرُّسْل أحمدُها الّذى بتوحيده الإشْراك أوْدَى فلا شِرْك

قافية اللام

لِمثالك يا نعــلًا بلابسها نعلو ويا طيبَ قلبى كلما قلت يا نعلُ
لثمت وما أبغيهِ باللثم لاَ ولاَ سواه فما قصدى النعال بلا الرِّجْل
لها الله منْ رجْلٍ مشتْ بأجلِّ مَنْ شأى رسُلَ اللهِ الكرامَ وإن جلُّوا
لنا قد أتى منا عزيزٌ عليه مَا عَنِتْنَا رءوفٌ راحمٌ ما له مِثل
لَعَمْرِى لولاه لما سَحَّتِ السَّما ولا دُحِيَتْ أرض ولا بَرِئَ الكل

قافية الميم

وفيها وفيما بعدها لزوم زائد لم يَهد الله إليه ولا ألْهَم ، إلا بعد الفراغ من نظم ما تقدَّم ، وإلا فجناب مَجْده فسيح ، ولسان الألكن فى مدحه عليه السلامُ فصيح ، [وصلى الله على سيدنا محمد النبىّ المليح] :

مِثالُكِ نَعْلَ المصطفى هاج لِى جَوًى جَناهُ هَوًى قلبى السعيدُ به سَمَا
مَدَدْتُ له عَيْنَىْ مَشُوقٍ به عَلَى صَبابتِه ألاَّ تَحَولَ قَدَ أقْسمَا
مَشَيتُ بهِ فوق السَّماء فكلَّما وطِئْتُ سَماءً فاخَرَتْ فوقها سَمَا
مَواطِئُهُ قُسِّمْنَ فيها مَناسكاً فَأَسْمى الّذى أدناهُ ذاكَ المُقَسَّما
محمدُ أبْكَيتَ الثَّرَى إذْ عَرجْتَمُ وعُدْتمْ إليهِ بعدَ ذا فتبَسَّما

قافية النون

نظرتُ بِعَيْنَىْ هائم القلب مُدْنَفٍ شَجِىٍّ أَبَى إلاَّ البُكا طَرْفُهُ خِدْنَا

نعالَ حبيبٍ مُصْطفًى مِن حَبيبه دَنَا فتدلَّى قابَ قَوْسَيْن أَوْ أَدْنَى [٦٨٩]
نَبِيٌّ جميعَ الرُّسْلِ سادَ حِلًى كما بمبْعَثِه فينا جميعَ الوَرَى سُدْنا
نجيٌّ لِرَبِّ العَرْش ناجٍ مُحِبُّه غدَا مِنْ لظَى ذاتِ اللظَى وارثًا عَدْنا
نَزَعْنا إلى التَّوْحيد من مُلْكِ شِركنا ولولاهُ مَا واللهِ للهِ وَحَّدْنا

قافية الصاد

صَبَرْتُ فلما لاح لى مِثْلُ نعلِ مَنْ حِلاهُ تَعَالَتْ أَنْ تُعَدَّ وَتُسْتَقْصَى
صَبَبْتُ دموعًا من جفونٍ كأنَّها عَزَالى سَحابٍ نُؤْيُها النَّأْىَ قَدْ أَقْصَى
صَبَوتُ هوًى فى السَّيِّد العَلَمِ الّذِى قدْ أُسْرِى به ليلاً إلى المسجد الأقصى
صَميمٌ صَميمُ الجِلَّةِ الْقَمَرُ الَّذى وقاهُ الإلهُ الحَقَ والكَسْفُ والنقصا
صِراطى هواه للجِنانِ وإنَّهُ يَقِى وَوَقَى جِيدَ أعْتصامى بِهِ الوَقْصَا

قافية الضاد

ضُلُوعِىَ لا تَهْدَا ودَمْعِىَ لا يَرْقَا وليسَ سِوَى حَاليْهِمَا مِنهما أَرْضَى
ضلالِى هُدًى فى ذَا الهوَى عند أهله ذوى النظرِ الأقْوَى ذَوى السَّنَنِ الأرضَى
ضَعُوا قَلْبِىَ الشَّاكِى بحَيْثُ نِعالُهُمْ فآثارُهمْ تَشْفِى أَحِبَّتَها المَرْضَى
ضَممْتِ نعالَ المُصْطَفى رِجلَه الّتى بها شرَّفَ اللهُ السَّمواتِ والأَرْضا
ضَعُوها كمِثْلِى فوقَ أَرْؤسِكمْ فقدْ زكا من رَأى تعظيمَ مِقدارِها فَرْضا

قافية العين

عَلَى وَجْنَتى فاضَتْ دُمُوعِى فصَرَّحَتْ بِسِرِّ فُؤادٍ بالتَكَتُّمِ أُولِعَا
عَشِيَّ بدتْ نعلُ الحبيبِ كأنَّهَا هِلاَلٌ بآفاقِ القُلوب قد أُطلِعا

عَجِبْتُ لقلبي أن رَآها ولم يَطِرْ ... ويَخْرِقْ شَغافًا قد حواهُ وأضلعا
عَراه خيالٌ فاستقرَّ ولم يَطِرْ ... إليها وشيكًا حين بالأمرِ طُوِلعا
عسَى من أرانى نعله أو مثالها ... يُرِيني ضَرِيحًا لِلمَكارِمِ مُطْلِعا

قافية الغين

غليلِيَ لا يُطْفا وشَجْوِيَ لا يَفْنَى ... ودَمْعِي لغير الْمُزْنِ ليسَ بمنبغِي
غَسلْتُ بهِ رَيْنَ الجوَى وهْوَ نَكْتَةٌ ... بخَدِّي وقلت اشْفِكْ بجِيمِكَ واصْبُغ
غَدَاةَ بدتْ نعلٌ لأكرم مرسلٍ ... رفيعٍ شفيعٍ ذى مكارمَ سُبَّغ
غيورٍ شكورٍ راحمٍ مُتلطِّفٍ ... كريمٍ مُنيلٍ واسعِ السَّيبِ مُسْبِغ
غلامُكَ يا مولاىَ يَبْغِى شفاعةً ... وذلك أمرٌ ما لغيرك يَنْبغِي [٦٩٠]

قافية الفاء

فؤادىَ لا تَشْكُ البِعادَ فهذه ... نِعالُهُمُ فاسْتَشْفِيَنَّ بها تُشْفَى
فمِى قَبِّلَنْها مِثالَ نعلٍ كريمةٍ ... بتقبيلها يُشْفَى سَقَامُ مَنِ اسْتَشْفَى
فليتَ عينى والشِّمالَ ومِسْمَعِي ... قُلِبْنَ شِفاهًا تُحْسِنِ اللَّثْمَ والرَّشْفا
فأُطْفِئَ بالتقبيل والرَّشْفِ جمرةً ... قدَ اُشعلها شوقٌ عَلَى الهُلْكِ بِى أَشْفَى
فأُقسِمُ يا نعلَ الحبيب لأنْتِ مِنْ ... شَرابِ بطونِ النَّحْلِ لِلْمُشْتكِى أَشْفَى

قافية القاف

قُلَيْبِىَ لا تَقْنَطْ فهذى نعالُ مَنْ ... عَلِقْتَ به من قَبْلِ مَرْتبَةِ العَلَقْ
قد اُبصرتَها فى أُفْقِ كفِّى كأنَّها ... هِلالٌ منيرٌ للعيون قد ائْتَلَق
قفَا فى السَّنَى آثارَه القمرُ الَّذِى ... لِلابسه كالبُرْدَة انشقَّ وانفلق

قرأتُ حِذَارَ العين لما رأيتُه ... بأُفْقِ يمينى طالعًا سُورة الفَلَق
قَسَتْ مُهجةٌ قد أبصرتْهُ وما جَرَتْ ... مسابقةً شُهْبَ المدامِع فى طَلَق

قافية السين

سموتِ أيا نعلَ الرسولِ برجله ... على قِمم الشُّهبانِ والبَدْر والشَّمْسِ
سرَى ليلة المِعراج فوق بُرَاقِهِ ... ليُسْمِىَ أقطارَ السموات باللَّمْس
سماءٌ به فَلْتَفْخَرِى بدرَ سؤددٍ ... سليمَ السنَى يضحِى مُنيرًا كما يُمسى
سراجٌ به ظُلْنَا الذين تقدَّموا ... ولا عجبٌ أنْ يفضُل اليومُ للأمس
سَلِمْنا بفضل اللهِ لكِنَّنَا وهُمْ ... حروفٌ وما الإطباق فى الحرف كالهَمْس

قافية الشين

شمخْتِ أيا نعلا لأكرم سيدٍ ... رسولٍ على السَّبْع السَّموات قد مَشَى
شريفٍ له قد أُسْجِدَ البدرُ والْتفتْ ... إليه تجــــــدْه بالتراب مُنَمَّشا
شفَى مُبصِرَىَّ القلبَ والطرفَ نورُهُ ... وقد كنت أعشى القلبِ والطَّرفِ أعمشا
شفاعَتَه نرجو امتداد ظِلالِها ... إذا ما الرجا فيها سِواها تكمَّشا
شققت جيوب الكتْم وَجْدًا وقلْتُ يا ... يدَىَّ وهى حبلُ (١) التصبُّرِ فاخمِشا

قافية الهاء

هى النعلُ قد كانتْ سماءً ورجْلُه ... هلالاً فما أسْنَى وأضوأ أُفْقَها
هيا منكرًا تقبيلَها بعدَ بدْرها ... على دَنَفٍ ما أنتَ منه بأفْقَها [٦٩١]
هل القصدُ إلاَّ رجلُ لابِسها الَّذى ... سيُسْمِعُنى يومَ القيامة خَفْقَها

(١) فى الأصول : « حد » . ونظنه محرفا عما أثبتناه .

هلالِى وشمسِى فى دُجَى الحَشرِ سَيِّدِى مُبلِّغُ نفسِى ما يوافقُ وَفقَها
هَمَتْ عَبرتى شوقًا له إذ رأَيْتها فما ترْتجى الأجفانُ من بَعْدُ رِفقَها

* * *

انتهى ما ألفيتُه مِن هذهِ القطَع ، ولم أجد تـكملة الحروف ؛ وقد كمَّل ما بقى منها على نمَطِها ، صاحبُنا الفقيهُ الأصيلُ أبو الحسن الشامىّ ، حفظه الله ، وسيأتى ذلك قريبا .

وله مقاطيع فى مدح النعال أيضا

وألفيتُ أيضًا بخط هذا الشيخ محمد بن الفَرَج السَّبتىّ ، رحمه الله ، عِدَّةَ قصائد ومقاطيع فى هذا الغرض ، منها قوله رحمه الله :

ولقد رأيت مِثالَ نعلِ محمّدٍ فاشتدَّ شوقى عند ذاكَ وَهَاجَا
فظلَلْتُ أمسحُ وَجْنَتَىَّ بِشسْعِهِ مَسْحًا وأجعلُه برأسِىَ تاجا
يا نعلَ أكرمِ مرسَلٍ لما أَتَى دخل الورَى فى دينه أَفْواجا
كُرِّمْتِ مِنْ نَعْلٍ حَوَتْ رِجْلاً مَشَتْ بأجلِّ بادٍ فى الظَّلام سِرَاجا
شَرُفَتْ بِمَوْطِئِ نعلِه السَّبْع العُلَا لَمَّا ارتقاها عارِجًا لِيُناجَى

* * *

ومنها قوله رحمه الله :

نثَرَتْ محاجِرُ مُقْلتِى من سِلْكِها دُرًّا وشَذْرًا مُفْرَغا من سِلْكِها
شـوقا لمبعوثٍ أَتى فاستبشَرَتْ مُهَجُ الوَرَى بنجاتِها مِنْ هُلْكِها
عاينتُ مثلَ نعاله ومحمــدٌ هوَ خاتمُ الأرسالِ وُسْطَى سِلْكِها
فوجدتُ فيهـا ريحَه ولَرُبَّمَا فاحَ النوافج بعد فُرْقة مِسْكِها
أشرِفْ بها نعلاً عمائم كلّ ذى شَرَفٍ تُقِرُّ بأنّها مِن مِلْكِها
فلقد وَعَتْ قَدَمًا سَعَتْ فى فَكِّها من راحتَىْ كُفْرانها أو ش

جعلت مَواطِئَها المَلائكُ عندَما ... أَسْرِى به لَيلا مَواضعَ نُسْكِها
يا ليتَ أعضائى شِفاهٌ كلّها ... فتى تُقَبِّلها شفاهى تحكها
قد كنتُ ذا خوفٍ وَوَحْشةٍ أُبدِلاَ ... رَغْدَ المسرَّةِ للفؤاد بضَنْكها
فكأنَّها صَكٌّ أتى عَبدًا وقَدْ ... تُعْطَى الموالى أمْنَها فى صَكِّها
وهلالٌ أُطلِعَ فانْجَلَى مِن وَحْشَتِى ... ما قد تراكم من سحائب حُلْكِها
فأنَا العتيق وإن تَشُكَّ النَّفْسُ فى ... عِتقى يُمَطْ لِلحِين عارضُ شَكِّها [٦٩٢]
يا مُنجِىَ الحَوْباء مِن بَحْر الرَّدَى ... ولقدْ غدا لولاك مَعْطَبَ فُلْكِها
شَكْوَى غَرِيقِ ذُنوبِهِ مَهْما شَكَتْ ... حَوباؤه لسواكُمُ لَمْ يَشْكِها
ولقد أُمِرتُ بتَرْكِ أسبابٍ بها ... تقوى الذُّنوب فما أَخَذْتُ بتركها
ولَئِن هَدَمْتُ مَبانيًا مَسْتورةً ... بسُتور لُطْفٍ لا سبيلَ لهتْكها
فلقد بَنَيْتُ من الرجاءِ مَبانيًا ... رَدَّت فَوَاتِكَ خِيفَتِى عَنْ فتْكها
وجعلتُ حُبَّك يا محمدُ أُسَّها ... عِلْما بأنَّ الأسَّ مُمْسِكُ سَمْكِها
صلّى عليك إلهنا ما طَالَّ أنْـ ... ـفُ ذِكرِكَ العِطرَ الشَّذَا مُسْتَنْشِكها

* * *

ومن ذلك قوله رحمه الله :

أقولُ وهِجْرانى سَيَعْقُبُه الوصلُ ... فعَقْدُ الهوَى الشَّرْعِىُّ ما إنْ له حَلُّ
غداةَ رأَتْ عيْنِى مِثالَ نِعال مَنْ ... بدا فهدَى أَهْل السعادة إذ ضلُّوا
تمنيتُ لَوْ أنى ظَفِرتُ بتُرْبةٍ ... علَيْها مشَتْ نعلٌ بلابسها نعْلُو
فأَكْحَلَ عينًا أُرْمِدَتْ ببِعاده ... وليسَ سوى ذاكَ التُّراب لها كُحْل
هوالكُحل يجلُو ما بعيْنِىَّ من قذًى ... وكَمْ كُحْلٍ أنْ تُكْحَل به العينُ لا يجلُو
لوباكِ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى وحُقَّ أنْ ... أُرَدِّدَ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى أيا نعْل

فإنك قدْ أُودِعْتَ رِجْلاً عَلتْ على ... بِساط عُلاً لَمْ تَعْلُهُ
فأُقْسِمُ لو تُؤْتَى العَمائمُ سُؤْلها ... لما كانَ غيرَ النعل كان هـ
وناهيكَ منْ رجْلٍ مَشَتْ بمحمدٍ ... مُفضَّلِ رُسْلِ اللهِ إن عُدَّت الرُّسْل
أبو القاسم الأسْمَى الّذى وطِئَ السَّمَا ... فَنُودِىَ مَنْ فيها ألاَ خَلْفَهُ صَلّوا
ولو لَمْ تطأها رجاه كان للثَّرَى ... عَلَى الفَلَكِ الأَعْلى بمَوْطِئها الفَضْل
فيا مُرْسَلاً ما فى النبيّين مِثْلُه ... رَسولا وهلْ للشمس من جنسها مِثْل
أنرتَ ظلام الجهل فالقلبُ نَيِّرٌ ... مَحَا العِلْمُ منه أحرفاً خَطَّها الجهْل
فكان كمثل السيف أصبح صادئا ... وأمسى وقد جلَّى مَضا ربَه الصَّقْل
يلوحُ به الإيمانُ شكلا لناظرٍ ... ولولاك لم يطلع به ذلك الشَّكْل
فَحُقَّ لذى عقل بأنْ يقطَع المدَى ... مَدَى عُمْره مادام يصحَبه العقل
وما شُغْلُه إلا أمتداحُ جلالِكمْ ... فنعْم الفَتى مَنْ شُغْلُه ذلك الشغل
أمولاىَ يا مَولاىَ ألفاً وبعدَه ... كذلك ألفٌ ثم ألفٌ له قَبْل
عَديدُ الحصى والرَّمْل بل عدَّ ما إذا ... بدا فالحصَى جزءٌ بدا منه والرمل
فحبُّكُمُ كهفى الّذى مُذ حَللْتُه ... إذا اشتدبى كَرْبٌ على الفور ينْحلُّ
وسَيْفِى السُّرَيْجِىُّ الذى مذ سَلَلْتُه ... رأيت خطوب الجهل عَنِّى تنسلُّ
ورُمْحى الرُّدينىُّ الذى مذ شَرَعْتُه ... صَرَعتُ به ثُكْلِى فلا نُعِش الثُّكل (1)
وقَوسِى الّتى مُذ سَدَّدَ الصِّدْق نبلها ... أصابت أسًى ماخابَ قَطُّ له نَبل
فها أنا فى ظل من الأمن قاطعٍ ... على الأمن أنْ يمتدَّ لى ذلك الظِّل
ومَنْ يدرى ماأدرى من افضالكَ الذى ... هو الباب والإفضال أجمعُه فَصْل
أوِ الأصلُ والإفضالُ بعضُ فروعِه ... وما يَسْتَوى فى الرُّتبَةِ الفرع والأصل

[٦٩٣]

(١) كذا فى ط، ص. وفى م: «ثقلى» .... «الثقل».

نَمْ آمنًا من جَوْرِ دهرٍ صُرُوفُهُ سواهر واسْتَقْضِي وليسَ له عَدْلُ
ياغَوْثِي وغَيْثِي كما تجهَّمَتِ الأيام أو أحجف المَحْل
محمد يا حرزِي وعزِّيَ كلما تفاقَمت الأهوالُ أو طرَقَ الذُّل
أكرِّر فى أحوالىَ اسْمَك إنه كالشهد ما كررته فى فمى يحلو
[أما إنهُ أحْلَى وأيمنُ مُجْتَنىً فكم مُجْتَنٍ للشهد تلسعُه النحل
وإن كان فى الشهدِ الشفاء لمشتكٍ بعلَّة جسم أصلُها الشربُ والأكل
فباسمك يُشْفى كلُّ قلب إذا اشتكى إليكَ بداء جرَّه القول والفِعل
وما جسَدُ الإنسان مثل فؤاده فمَنزل ذا عُلْوٌ ومنْزِل ذا سُفْل
فبالفضل ياذا الفضل والبذل إن عدَتْ خطوبٌ ولمَّا يُلْف فضلٌ ولا بذل
أجِرْنىَ من نارٍ ضريعٌ طعَامُها ومُهْلٌ وما يغْنِي ضريعٌ ولا مُهل
ومن أهلها العاصى أوامرَ ربِّه وإنِّى لَها أو يغفر اللهُ لِى أهل
أما إننى أرجو النجاةَ وإن تكن ذُنوبِيَ حِمْلا لا يطاق لها حَمْل
فإنِّيَ قد أعْدَدْتُ أيَّ ذَخيرةٍ تخفِّفُ من ثِقْل الذُّنوب فلا ثِقْل
هواكَ الذى المعضلات خَبَأْتُه فمن مُهْجَتِي حُقٌّ وَمِن غَيْرَتِي قُفْل
ألا هكذَا فليَخْبَإِ الحُبَّ مُذْنِفٌ إذا ما سَلا أهلُ المحبة لا يسلو
وإن يخلُ معمورُ القلوب من الهوَى فما قلبُه المعمورُ من حبه يخلو
وإن يعتلِلْ وقتا غرامٌ فيختَلِلْ فما حبُّه يعتلٌّ وقتا فيختلّ
فكمْ بيْنَ مَنْ قدْ تيَّمَ الفضلُ والعُلا وبيْنَ الذى قَدْ تيم الغُنْجُ والدَّلّ
لَبيْنَهمَا ما بين وَصْلٍ وقَطْعةٍ وهيهات ما بالقطع يَشْتَبِهُ الوَصل
وإنْ غَرَسَتْ كَفَّاهما شجَرَ الهوى فمغروس ذا شَرْىٌ ومغروس ذا نخل
فيا قلبيَ أَجْلِلْ من هواكَ بجَنَّةٍ بها احتلَّ قلبٌ حبُّه ليس يَعْتَلّ

وناد الورى إنى احتللت بجنة ... بها كل من يهوى هواى سيحتل
أدير بها كأسا دهاقا وما سوى ... سرورى بمحبوبى مدام ولا نقل
هى الخمر لم يتلف بها عقل شارب ... وتلك حرام فى الكتاب وذى حل
ويا فكرى الرامى المصيب بنبله ... مقاتل أغراض أراها له النبل
وفى قتلها عند اللبيب حياتها ... ومن أعجب الأشياء أن يحيى القتل
بتأليف شمل المدح فى المصطفى اشتغل ... يعنك على تأليفه ذلك الشمل
فذاك محل للمدائح قابل ... إذا انحصرت فيه مدائح من قبل
محل يسمى فى علاه مقصرا ... أديب وفى الأمداح من طبعه يغلو
محل علا فوق السماء ولم يكن ... لأعلى محل ذلك العلو أن يعلو
فقل للأديب المكثر القول فى حلى ... علاه: كثير القول فى مجده قل
فضائله بحر وسجل كلاهما ... وليس يغيض البحر دلو ولا سجل
وتالله ما البحر الغطامط مشبها ... فضائله أو يشبه الوابل الطل
ولكنها الأمثال تضرب للورى ... وليس من المشروط أن يفعل الكل
وقد ضرب الله الأجل لنوره ... فقال كمشكاة وليس له مثل
أخير رسول جاء للخلق هاديا ... وقد درست سبل النجاة فلا سبل
وكلهم نشوان من خمرة الهوى ... فمعبودهم نسر ومدعوهم بعل
فما منهم إلا أسير ضلالة ... ففى جيده غل وفى رجله كبل
فدلوا على سبل النجاة بنوره ... جميعا ولولا ذلك النور ما دلوا
فأعقب ذاك النور مدلوله حلى ... ففى جيده عقد وفى رجله حجل
وقفت بباب الجود والكرم الذى ... غمامته وطفا وعارضه وبل
فما كرم يروى عن الجود واهبا ... مواهبه تترى ونائله جزل

وَقِيسَ بِذَا إلّا وقال أُولو النُّهَى أَلا إنَّ ذاكَ الجودَ فى جَنْبِ ذَا بُخْلُ
ولى حاجةٌ عَنَّتْ إليك ، قضاؤُها عليك بفضل الله يا سيدى سَهْل
زيارةُ أَرضٍ طيَّبَ الله تُرْبَهـا فما المسكُ مفضوضَ الختامِ لها شَكْل
هِيَ البَلْدَةُ الغَرَّاءُ طَيْبَةُ الَّتِي بها دِيَمُ الرُّحْمَى مَدَى الدَّهرِ تَنْهَلّ
فَمَنْ حَلَّ مَثْوًى أَنت فيه مُخَيِّمٌ ويا طيبَ أَقوامٍ بطَيْبَةَ قد حَلُّوا
يكُنْ آمِنًا مِنْ كل حُزْنٍ وَخِيفةٍ ويعظمْ له جاهٌ ويَكرمْ له نُزْل [٦٩٥]
فما داخلٌ عَدْنًا يخاف من الردى وتشهد آيات الكتاب الذى نتلو
ولا فَرْقَ ما بيْنَ الجنانِ وبيْنَهَا لَدَى من لَهُ عَقْلٌ من الناس أو نَقْل
وصلّى عليكَ الله ما هبّتِ الصَّبا وما كان للمُزْنِ التى أَعْصَرَتْ هَطْل

* * *

ولە فى تشبيە نعل الرسول

ومِمَّا له أيضا رحمه ، ملتزما تشبيه النّعل المختصة بالشرف والرفعة ، وقد أبصرها مرسومة بالحِبْر فى رُقْعة :

اِشْفَقْ برؤيتها يا نَفْسِيَ الدَّنِفَهْ نَعْلًا لرجل رسول الله مُكْتَنِفَهْ
كأنَّ طِرْسًا به بالحبر قد رُسِمَتْ بُرْدٌ مِنَ الحِبَرَاتِ البيضِ ذُو صَنِفَهْ

* * *

ولە فى وصف النعل أيضا

ومما له أيضا نفعه الله بها ، ورَسَمَ مِثَال النَّعْل الكريمة إثْرَها :

يا سائلًا أُفتيـه إثْرَ سُؤالِهِ عمَّا يَرَى إنْ يَشْكُ مِنْ إشْكالِهِ
تُرِهِ سَوَادَ القَلب والعينين فى شكْلِ هلالُ الأُفقِ مِنْ أَشْكاله
أَخطأتُ لستُ بعائِدٍ ولكِنْ مُصيبٍ مُخْطِئٌ فى البعْض مِنْ أَقْوَاله
فالبدْرُ يُكْسَفُ فى منازل سَعْده ويصيبُه النقصانُ إثْرَ كماله
وكلاهما شَيْنٌ وهـذا قد وُقِى مِنْ كل شَيْنٍ بَدْرُ سِرِّ جَماله

أَوَلَيْسَ تمثالَ النّعال نعالِ مَنْ وَطِئَ السَّمَوَاتِ العُلَى بنعالِه
نَعْلٌ بلابِسِهَا بأَتْ ويحقُّ أَنْ تَبْأَى به لجلاله وخلاله
فلقد حَوَتْ رِجْلاً مَشَتْ بالصفوةِ الْـمختار عند الله من أرساله
فالثِمْهُ تمثالاً لها لَثْمَ أمرئٍ باللثم يُرْوَى مِنْ صَدَى بَلْبَاله
فلَرُبَّ مُشْتَاقٍ رَأَى آثارَ مَنْ يَشْتَاقُه فَشَفَتْهُ مِنْ أَوْجَاله
أَوَ ما تَرَى يَعْقوبَ عادَ بثوب مَنْ يَهْوَى سَنَى عَيْنَيه بعد زواله
وهوايَ فى مولايَ يفضُلُ حُبَّ يَعْـقُوبٍ عَلَى المَرْوِيِّ مِنْ أَحْوَاله
فمحمّدٌ هُوَ مُعْتِقِى من مِلْكِ شِرْ كٍ كنتُ طَوْعَ يمينه وشِمَاله
قَطَعَتْ هِدَايَتُه حِبَالَ ضَلاَلَتِى بحُسامها الجالى الرَّدَى بصِقَاله
فغدَوْتُ مُعْتَقَلاً ورُحْتُ مُسَرَّحًا مُتَمَسِّكاً مِنْ هَدْيِهِ بحباله
يرتاح فى عَدْنِ الهُدَى قلْبِى ولا يَخْشَى الإعادَةَ فى جَحِيمِ ضَلاَله
أَصِلُ النِّداءَ مُعَرِّفًا بعوارفٍ بلغ الفؤادُ بها مَدَى آماله
[٦٩٦] يا قومُ إقرارُ أمرئٍ بفضائلٍ عَظُمَتْ عَلَيَّ لأَحْمَدٍ ولآلِهِ
كنتُ الذَّليلَ فمُذْ تملَّكَ مجدُه نفسِى بما قد كان مِنْ إِفْضاله
ما زال يسعى فى عَزازةِ عَبْدِه حتى محا بالعزِّ نُقْطَةَ ذاله
فأنا الذَّليلُ لأَعْبُدٍ ذَلُّوا عَلَى أَنْ يُصْبِحوا مِثْلِى عَبِيدَ جَلاله
مولايَ يامولايَ أَلْفًا مُرْدَفًا بمثالِه ومثالِه ومثاله
أَضْعَافَ أَضْعافِ الّذى فى البَحْرِ مِنْ نُقَطٍ : أُجاجِ المَاءِ أَوْ سَلْسَاله
أَنا عَبْدُكَ القِنُّ الذى أَطْلَقْتَهُ مِنْ جَهْلِ أَوْثَق مُهْجَتِى بعقاله
فَبِمَا عَلَيَّ لكُمْ من الفضلِ الّذى ضَعُفَتْ قُوَى شُكْرِى عن اسْتِقْلاله
إلّا حَمَلتَ إلى الأُساةِ بِطَيْبَةٍ جِسْمًا شَكا بفراق قَلْبٍ واله

وأَظنُّه والظنُّ يَصْدُق هاهُنا عنــــدِى وإنِّى لَلْخَبيرُ بحالهِ
قد حَلَّ منْ فَلَكِ العُلَى حيثُ الحِلَى شُهُبٌ تَحُفُّ بشمسه وهلاله
بَلَدًا يذُودُ المارقين جَـــلاَلُه بسـيوفه ولِدَانهِ ونبَـــاله
فـكأنه كِيرٌ نَفَى خَبَثًا وأَبْـــقَى مَن رَضِى الرَّحْمنُ باستعماله
أربى عَلَى أمثـــاله وَوَحَقِّه لأفكتُ فى قولى عَلَى أَمثاله
فالأرضُ مثلُ ذُبالةٍ وهوَ السَّنَى منها وكم بين السَّــنَى وذُباله
هو طَيْبَةُ الغَرَّاء أشرفُ موْطِنٍ حثَّ النُّهى شرعا على إجْلاله
حَرَمٌ متى ما حَلَّه ذو خِيفَةٍ يأْمَنْ به فى حاله ومآله
أُمِرَ المَلاَئِكُ بالدُّعاء لأهـلِه أهلِ الفَخار نسـائه ورجاله
وارَى ثَرَاه مَنْ لأجل سـناه خَـرَّ المَلْكُ المخــــلوق من صَلْصَاله
ونجا ابنُ لامَكَ فى السَّفين إذا اسْتَوَى ماء الرَّدى بسهوله وجباله
ونجا ابنُ آزرَ منْ لَظَى الإشراكِ إذ نال الذى قد نال مِنْ تمثـــاله
وفُدِى ابْنُ هَاجَرَ حين تُلَّ وإنَّهُ لَمُسَلِّمٌ لأبيـــــــه فى أفعاله
واحتلَّ إدريسٌ مكانًا فى السَّما أسمَى ، مَنالُ النَّجْم دون مَنَاله
والمرء يُخْلَقُ من ثَرَى القَبْر الذى سيَكون مُنطبقًا على أوْصاله
هـذا حديثٌ صَحَّ عنه لدَى الأُلَى نظموا عُقود مَقـــاله وفِعاله
ولذاكَ قال بفضل طَيْبة مالكٌ وهْوَ الإمامُ المُقْتَدَى بمقاله
إذ لا تُراب أَجلّ من تُرْبٍ نَشا منه حَبيب اللهِ مِن أرْساله
فهناكَ يُضْحِى الجسمُ مُتَّصِلاً بمن أَشجاه وهو القلبُ يومَ فِصَـاله
أَسْعِدْ بمُجْتَمِعَيْن فى دار بهـا شَخْصُ الَّذِى قنعَا بطيْفِ خَياله [٦٩٧]
مولاىَ إنْ لم تؤتِ عبـدكَ سُؤْلَه ورددتَ خائبةً يمينَ سُـؤاله

لا عَتْبَ بل عُتْبَى فما هو صالحٌ   بك للذى قد ساءَ من أعماله
لكنَّ سُنَّةَ سيدى فى عَبدِه   إسعافُه ما دام من سُؤَّاله
والصفحُ عن زلَّاته ولَوَ أنها   كالرَّمْل عَدًّا فى جميع رِماله
ومتى يَجُدْ فالغيثُ إلَّا أنَّهُ   عمَّ الخليقــــة كُلَّهَا بنواله
ومتى يُجِرْ فالليثُ إلا أنه   يُضْحِى المُجارُ لَدَيْه من أَشْبَاله
فالخائفون المُعْسِرون مؤمَّنو   نَ وَمُوسِرونَ بجاهــه وبماله
هَذِى خِصالٌ من خِصال جَمَّةٍ   ومَنِ الذى يُحْصِى شريفَ خِصاله
صــلّى عليه إلٰهنا من مُرْسَلٍ   وَجَدَ الوجودُ الخيرَ فى إرْساله

* * *

وله أيضاً فى النعل الكريمة

وممَّاله أيضًا تقبل الله منه ، ولا صرف وجه وقايته بمنّه وكرمه عنه :

خُذْهُ أيا صَاح خُــــذِ   تِمْثَالَ نَعْـــلٍ قد حُذِى
على نعالِ أَحْمَــــدٍ   مُنْجِى الأنام المنقِـذ
السَّـــيِّدِ المختار مِنْ   قبيــــلَةٍ وَفَخِــــذ
ذى الطَّوْلِ ذى الفضل الذى   حِلَاهُ لا تُحْصَى بِذى
وانظرُ إليـــه نظـرةً   يُجْـلَى بها طَـرْفٌ قَذِى
وقبِّلَنْـــــهُ دائمـــا   تقبيـــلَ ذى تلذُّذ
وَقُـــلْ إِذَا قَبَّلْتَــه   ذِى قُبَـــلٌ تَلَذَّذِ
ونادِهِ يا ســـيدًا   بغـــيره لَمْ أَلُذ
شَكْوَى مُحِبٍّ ما دَرَى   غير الهوى مِنْ مَأخَـذ
رُمِى بِنَبْـــلٍ للنَّوَى   صـوائبٍ لم تُشْـحَذ
لكنَّهَا مَهْمَـــا رُمِى   بهـــا فليس تَنْفُـذ

فقلبُهُ من رَشْقِها كمثل جِلْدِ القُنْفُذِ
وقد رَجوتُ والرَّجا نَهْجِى الذى قد أحتذِى
إدالَتِى بالقُرْب مِنْ هذا النَّوى المُستحوِذ
وبالجلال النَّبَوِىِّ الهاشمى تعوُّذى [٦٩٨]
من أن يضيع لى هوًى به فؤادى يغتذى
فيا فؤادى بالعَرا أفعَى المخافةِ أُنبِذ
وإن تَسِرْ للسعِ مِنْ زُمُرُّذِ الدُّجى خُذ
وأَرِهِ لمُقْلَتَيْها كىْ تَسِيل ذى وذى
فذاكَ فى الأفاعى مِنْ عوائد الزُّمُرُّذ

* * *

ومما له أيضا رحمه الله تعالى . وله أيضاً فيها

يا مُغْرَمًا برسولٍ لم يَخلُقِ الله مِثْلَهْ
هذا مثالُ نعالٍ شِرَاكُها[1] ضمَّ رِجْلَه
أَشْرِفْ بها ثم أَشْرِفْ نعلاً تُماثل نَعْلَه
فَقبِّلَنْ فيه مثْلِى تقبيلَ صَبٍّ مُوَلَّه
فرُبَّ شاكى اشتياقٍ نَالَ الشفاءَ بقُبْلَه
يا ربِّ أشكوك شوقى والشوقُ أعضلُ عِلَّه
فقرِّبِ الدَّار مِمَّنْ أَبنْتَ فى الرُّسْلِ فَضْلَه
فهْو الذى بنواهُ فؤادَ عبدِكَ وَلَّه
صلّى الإله عليه مِنْ شارعٍ خيرَ قِبْلَه

(١) فى ص : « قبالها » .

وفاسخ كلِّ حُكمٍ ... وناسخٍ كلِّ مِلَّهْ
ما حرَّكَ الوَجْدُ قلبا ... وأرَّقَ البُعْدُ مُقْلَه

* * *

ومما له أيضا، تقبّل الله عمله، وبلّغه أمله :
ولهُ أيضاً فى ذلك الغرض

انظُرْ إلىَّ هِلَالَا ... فاق البُدورَ جَمالَا
أَسْتغفرُ اللهَ رَبِّى ... فقد أَفَكْتُ مَقالا
فالمَحْقُ ليس مُصيبِى ... وقد يُصيبُ الهلالا
لكنْ حَكَيْتُ نِعالًا ... لسَيِّدٍ قد تعالَى
شَأَى النبيِّين جاهًا ... وحُظْوَةً وخِلَالا
فإن شكوتَ بشَوْقٍ ... فؤادَكَ الصَّبَّ نالا
فَلْتَلْثِمَنِّى فَلَثْمِى ... يَشْفِى اشتياقًا تَوالَى
نَعَمْ لَثَمْتُكِ شَوْقًا ... لما حكيْتِ النِّعَالا ‎[٦٩٩]
ومَنْ يَظُنَّ بنَعْلٍ ... شُغِفْتُ ظنَّ المُحَالا
بِلابِسِ النَّعْلِ هِمْنا ... ومِنْه نَبْغِى الوِصَالا
يا ربِّ يشكوكَ قلْبِى ... يشكوكَ صادًا ودَالا
فقرِّب الدَّارَ ممَّنْ ... بَرَأْتَ فاءً وذَالا
فما لأَحْمَدَ نَدْرِى ... فى المرسلين مِثَالا
هذا وإن كان منهُمْ ... والكلُّ حاز الكمالا
ففى السَّما نَيِّرَاتٌ ... وكلُّها يتلالا
وليس منها مُضَاهٍ ... للشمس فى النور لَا لا

صَلّى عليه إلٰهٌ / به أَزالَ الضَّلالَا
ما لَحِق الجزمُ فِعلًا / أَو ازِمَ النَّصْبُ حالا
ثم سَلام عُبَيْدٍ / ما إنْ عَنِ الرِّقّ حالا
يخصُّ مولًى كريمًا / عَمَّ العبيدَ نَوالا
وآلِه خيرَ آلٍ / إنْ عَدَّدَ الخلْقُ آلا
ما أَطْلَعَ الأُفْقُ شمْسًا / وأنشأَ الجَوُّ آلَا

* * *

وله أيضا فى ذلك

ومن قوله أيضا ، رحمه الله ، وهى من أول ما قاله :

بكيتُ وقدْ رأيتُ مِثالَ نعلِهْ / بكَاءَ هَوٍ عَنِ الأحبابِ وُلَّهْ
وما حُبُّ النّعال أسالَ دمعِى / ولكن حُبُّ مَنْ كَرُمتْ برِجْلِهِ
محمدا الرفيعَ القدرِ أعْنِى / حبيبَ اللهِ أحمدَ خيرَ رُسْلِهِ
عليه سلام ذى مِقَةٍ مَشُوقٍ / إليه ظلَّ مُعْتصِما بحبلِهِ
مَدَى افتخرَتْ سَموَاتٌ وأرضٌ / على حُرِّ الخدود بوطءِ نَعْلِهِ

* * *

وله فى ذلك وقد نحا منحى رائية أبى الربيع بن سالم

وله رحمه الله قصيدة مطولة ، نحا بها منحى رائيّة أبى الرَّبيع بن سالم ، وهى :

تَبدَّتْ لنَا والشَّوْقُ يَقْدَحُ زَنْدَهُ / بقلبِ شَجٍ لا وَجْدَ يُشْبِهُ وَجْدَهُ
نعَالُ رسول الله أشْرفْ بنعلِ مَنْ / قد اختصَّ بين الرُّسْلِ بالسِّرِّ وحْدَه
وإلَّا تكن نَعْلَ الرسول فإنَّها / مِثالٌ وكمْ نَدٍّ يُذَكِّرُ نِدَّه
فيا ناظرًا منها حديقًا تعاهدتْ / عهادُ الحيا تُرْوِى رُباه ووُهْدَه [٧٠٠]
فَلِلَّهِ ما أذكى وأطيبَ نَفْحَه / إذا حرَّكتْ ريحُ الصَّبابة زَنْدَه

وأطلعَ شَوْقُ الحبِّ بدْرا بِهَارَه | وشمسًا ترومُ الغربَ فى الصيف وِرْدَهُ
على الفَوْزِ قَبِّل فيه تقبيل فاخرٍ | بمَوْلًى أعزَّ اللهُ فى الخَلْق عبدَه
ونزِّه به طَرْفًا جفا النومُ جَفْنَــه | ومرِّغ به خَدًّا دَمُ الجَفْن خَدَّه
فرُبَّتَ ذِى وجْدٍ رأى أثرًا لِمَنْ | له وَجْـــدُه يومًا فأطفأَ وَجْدَه
أمولاىَ يا أعلَى النبيِّين مَنْزِلًا | لدَى اللهِ والمُخْتصُّ بالفضل عنده
نِدَاءُ عُبَيْدٍ أضْرَمَ الشوقُ وَجْدَه | فباح بحبٍّ أبرمَ الصِّدْق عَقْدَه
[وإنَّ الهوَى مالمْ يَبِنْ كَخَمْرَةٍ | بمَنقودها والسِّقْطِ لازَمَ زَنْده
بحقِّ هوايَ المحضِ فيكَ الذى متى | يُقَسْ بهوًى فى الدهر أُلْفِيَ وَحدَه
أنلْنِىَ ما أبغيــهِ منكَ وإنّه | زيارةُ قــبْرٍ شرَّف اللهُ لَحْدَه
بأشرفِ جُثْمانٍ لأشرفِ رُوحِ مَنْ | وَقَى اللهُ ممــا يوهنُ المَجْدَ مَجْدَه
هو المجدُ لا مجــدٌ يماثلُه وهلْ | يماثلُ صفحُ السيفِ فى القطع حَدَّه
سكِرتُ وماخَمْرِى سِوَى حُبِّهِ وَمَنْ | حَسَا خمرَ هذا الحبِّ لم يخْشَ حَدَّه
فيا طَيْبةُ الغراءُ أسعدَ منزلٍ | تودُّ[1] النجومُ الزُّهرُ تنزِلُ وُهْدَه
ألا فاحملى بَنْــدَ الفَخار وحقِّقِى | بأنكِ قد شَرَّفْتِ بالحمــلِ بَنْدَه
ونُوطِى على جيد العُلَا عِقْدَه ترَىْ | مُشَرَّفَةً أيضا بذلك عِقْــدَه
بأعضاءِ مُخْتارٍ مِنَ الخلق مُرْسَلٍ | إليهم بدينٍ أوْثقَ اللهُ عَهْدَه
به نُسِخَتْ أدْيانُ من كان قبلَه | ولا دينَ يأتى الخلقَ للحَشْرِ بعده
به شاد أبراجَ العُلَا اللهُ رَبُّهُ | وثَلَّ به عرشَ الضــلال وهدَّه
وردّ به عنا الرَّدَى وهْوَ مُقْبِلٌ | وما كان لولا جاهُه ليَرُدَّه
رسولٌ على الأرسال فضَّــله الذى | حَبَاه بمــا لا يبلغ النطقُ عدَّه

---

(١) فى هامش ص : «تمنى» .

وإن كان رُسْلُ الله صلّى عليهمُ وسلّمَ ما ضِـدٌّ ينافرُ ضِدَّهُ
حَكَوْا سُوَرَ القرآن نورًا وحكمة فأحمدُ قد أضحَى من الرُّسْل حَمْدَه
وفى الحمد مافيها من الشَّرَف الذى يُبين لمهدىٍّ من الناس رُشْدَه
وحَسْبُكَ أَنْ يَبْدا ويختم قارئٌ بها ومُصَلٍّ فرضَه ثم وِرْدَه
كذاك رسولُ الله أوّلٌ آخِرٌ له المنزلُ الأعلى الذى لن نَحُدَّه
أمولاىَ ذا قَصْدِى إليك وأنتَ مَنْ يبلِّغ ذا الشوقِ المُبَرِّح قَصدَه
فيا طِيبَ عبدٍ وَاصل أرضَ طَيْبة يُمرِّغُ فى تلك المعاهدِ خَدَّه
مَعاهدُ أمسى الأُنْسُ منها بظهرها لذى وَحْشَةٍ قد قرَّب الله بُعْدَه
وأصبح منقولا إلى بطنهـا فيا وَجاهة بطنٍ قد وَعاه وسَعْدَه
سَعِيدٌ صَعِيدٌ منه أُنشِئَ أحمدٌ وفيه الذى أنشأ به الفضلَ رَدَّه
فكان كمِثْلِ الوَرْدِ فارَق وَرْدَه لمنفعـــةٍ مّا ثم عاود وِرده
أخيرَ كريم ليس تطرُق آفةٌ فتًى حبُّـــه للطارقات أعَدَّه
عليك وأنت السيِّد العَلَم الذى أفاد الثَّنَا بَهْرَ السَّنَى ومُعَدَّه (١)
بل العالَمَ الإنسى عموما ومنْهمُ خصوصا فريق أكمل الله جَدَّه
هى الأمة العُلْيا التى هُدِيَتْ وَمَنْ أُريد به خيرٌ من الخلق يَهْدَه
صلاةٌ وَتسليمٌ ورُحْمَى مَدَى انتمَى لك الفضل يا فَذَّ الوجود وفَرْدَه]
عديدَ صنوف الخلق عُلْوًا وأسْفَلاً صُمُوتًا وذا نطق جمادًا وضِدَّه
ولَسْتُ مجيزًا أن أضيف إلى كذا بعَدِّى فيأتى ما لِسانىَ حدَّه
كشمس الضُّحَى كالمِسْك كالقطر لم يَنُطْ(٢) به بَرقَه الأفقُ الصَّقيلُ ورَعْدَه
أجاعِلَ تشبيهى حقيقةً التَفتْ غَلِطْتَ فللباب المجازىّ رُدَّه
فشمس الضحى والمسك والقطر عابَها أخو النَّقد والبرهانُ يعضِد نَقْدَه

(١) كذا فى ص . وفى م : « أجاد الثنا قهر الثناء ومعده » . (٢) فى م : « ينل » .

بكشْف وإمساك وهـذا دليلُه ... على ذاك والإيضاحُ لم يتَعدَّهُ
وتلك الَّتى شبَّهتُها سَلِمَتْ سَنًى ... فجاءت كما شاء الـكمالُ ووَدَّه
صلاةً وتسليما ورُحْمَى على الذى ... سَنَى وَحْيِ ذى العرْش المجيد أمَدَّه
على العُروة الوُثْقى عَلَى القَمرِ الذى ... على الخلْق ظِلَّ الأمْن والمنّ مَدّه
على منقذ الإنسان من حُفَرِ الرَّدَى ... ولولا سَناهُ كان فيها يُدَهْدَه
على من له الخُلْق العظيم على الذى ... أبانَ جميعُ الرسْل والـكُتْبِ جدَّه
عَلَى مَنْ له المجدُ الصميم على الذى ... به شرَّفَ الرحمن آدمَ جَدَّه
عَلَى أحمدَ المعروف فى ظهْرِ آدمٍ ... بترديده شُـكْرَ الإله وَحَمْدَه
عَلَى مُجْتَبًى قد نوَّرَ اللهُ قلْبه ... عَلَى مُصْطَفًى قد طهَّر الله بُرْدَه

* * *

له المعجزات اللَّاءِ لُحْنَ لطَرْفِ مَنْ ... نفى نومَه سعْدٌ وأثبت سُهْدَه
فمنها انشقاق البدْر ثم نزولُه ... رآه الذى التوفيق وافق رَصْده
ومنها حنينُ الجذْعِ بالمسجدِ الذى ... بطَيْبَةَ لمّا آنس الجِذْع فقْده
ومنها طُلوع القُرْص بعد غُروبه ... وما بسوَى دَعْوَى دعاها استرَدَّه
ومنها سقوط السَّيف من كفِّ غَوْرَثٍ ... وقد كان مِقدامَ الضَّلال ونَجدَه
ومنها انفجار المـاء من بين أنْمُلٍ ... تُقَسِّمَ فى أبناءِ آدم رِفدَه [٧٠١]
إلى أن رَوِى منْه الخميسُ فيا لَهُ ... خميسًا أطابَ اللهُ ذو الفضل وِرْدَه
ومنها نماء التَّمْر حتى قَضَى به ... ديونَ أبيه جابرٌ حينَ جَدَّه
ومنها كلام الشاة تَنْهَى عَنَ اُكلِها ... فلم يبلغ السَّمَّامُ بالسَّمِّ قصدَه
ومنها كلام الضَّبِّ والجَمَلِ الذى ... شكا كَدَّه الُموهِى قُوَاه وجِلْدَه
وكيفَ مَواليه يريدون نَحْرَهُ ... ولمَّا يُراعُوا فيه بالأمْس كَدَّه

ومنها البعيرُ المبطئُ السَّيْرِ ساطَه — فما وَخَدَتْ من بعدذا النُّجْبُ وَخْدَهُ
إلى غيرها مِن معْجِزاتٍ بَوَاهِرٍ — فضَحْن عَدُوًّا باغِيًا رَامَ جَحْـدَه
تُـكاثِر رَملَ الأرض عدًّا و نَبْتَهَا — وتفْضُلُ سِلْكَ الدُّرِّ حُسْنًا وَعِقْده
وتُزْرِى سَنًى بالنَّيِّرَيْنِ توصَّلا — من الفَلَكِ المَجْلُوِّ بالصَّحْو كِبْدَه

* * *

ومما به قد خصَّه الله رحمةً — وفضلاً ونخرًا قد قضى الله خُلْدَه
صحابتُه الغُرُّ الأُلَى سَعِدُوا ففى — قلوبهم قد أَسْكَنَ الله وُدَّه
هُمُ نَصَرُوا دينَ الهُدَى بسُيوفِهِمْ — كما خَذَلوا نَسْرَ الضَّـلال ووَدَّه
وأولُهُمْ سَبْقًا وحيدُهُمُ حِلًى — وَأَوْجَهُهُمْ عِنـد الإِله وعنْدَه
مُقَرَّبُهُ مَحْبُوبُه مُصْطَفَاه مِنْ — جميعهم لا خَلْقَ يَعْلَمُ نِدَّه
خَليفَتُه فى المســلمين الذى لهُ — مناقبُ عُودَ الطِّيبِ تُنْسِى وَنَدَّه
مُيَمِّمُ ضُلاَّلِ اليمامة غازيًا — ليُرْوِى دمًا قُضْبَ الحديد ومُلْدَه
فما سَلِمَ الـكذَّاب منها رئيسُهُمْ — مُسَيْلِمُ خنزيرَ الضَّـلالِ وَقِردَه
أقاويلُه الزُّورِيَّةُ اللَّاءِ قد دَجَتْ — ورَأْسُ الدُّجى لا شكَّ بالنور يُشْدَه
مقاتِل أهلِ الرِّدَّة الرِّجْسِ الأُلى — نَحَوْا سدَّ بابٍ حَرَّمَ الله سدَّه
أبو بكرٍ الصِّدِّيق أَصْدَق صاحبٍ — وأَبذلُهُم فى نُصْرَة الدِّين جهدَه

* * *

وثانيهم الموصوفُ بالشِّـدَّة التى — بها دينَه قوَّى الإِلٰهُ وشدَّه
مُلاقِى خطوبِ الدَّهْر منه بعزْمَةٍ — تَحُلُّ مِنَ الخَطْبِ الـكريه أَشَدَّه
مكسِّر كِسرَى الفُرسِ واضعِ تاجِه — مُقَلِّبه بالعُود يُظهِر زُهْـدَه
مُقَصِّر أعمارِ القياصِرِ بالقَنَـا — مُدِدْنَ وبالصَّمْصَام مَزَّقَ غِمْدَه

مُواصلُ أَسبابِ الهُدَى النَّدْسُ الذى ... عن الحقّ ماشىءٌ من الدَّهر صَدَّهُ
[أَميرُهمُ فاروقهمْ عُمَرُ الذى ... مَدَى العمرِ لم يَفرَق من الأمرِ آدَه

* * *

وثالثهم ذو الهجرتين الفتى الذى ... شكا هَجرَه شخصُ النَّعيم وصدَّه]
[٧٠٢] مجمِّع ما فى الذِّكْر من سُوَر ومَنْ ... مَتَى رُدَّ داعٍ قد دَعا لم يَرُدَّه (١)
[مُجهِّز جيش العُسْرَة الفاضلُ الّذى ... تَرَدَّى رِداءً غَيْرُه لم يُرَدَّه]
فذلك عثمانُ الشهيدُ بداره ... بسيف شقيٍّ فى لظًى يَتَدَهْدَه
أبو عمرٍو المعمورُ قلْبًا بذكر مَنْ ... له من ضروب الصَّخْرِ أنطقَ صَلْدَه
فسبَّحَت الحَصْباء فى كَفِّه كما ... أتى فى حديثٍ أَكْثَرَ الناسُ سرْدَه

* * *

ورابعهم من ألبسْته يد العلا ... أجلَّ قميص للعُـلا وأَجَدَّه
[ووَشَّحه إيمانه وجَنـــــانه ... أَجَذَّ حسامٍ للطُّلَى وأَحَدَّه]
تسمَّى لتفريق الفِقار به بذى الْـــفِقار فما أفْرَى وأَقْطعَ حدَّه
هو السيف لم تَجْلُ الصَّياقل صفحه ... ولا رَقَمَتْ أَيْدى القُيُون فِرِنْدَه
تزوَّجَ بنتَ الموْتِ بِكْرًا صداقُها ... أَجَلُّ صَداق أحكم الحبُّ عَقْدَه
وليس سوى الأرواح أشركن بالذى ... براهُنَّ ما أَكلَا وعَجَّلَ نقده (٢)
ومن جنة الفردوس كان خروجُه ... لهذى وتلك الدار كانت مَرَدَّه
فيا عُظمَ ما أبلى به فى مواطنٍ ... تُشَيِّب رأسَ الطفل لم يَعْدُ مَهْدَه
إمام همام قاسرٌ (٣) كل قسْوَر ... ومدركه لو كانت الريح نَهْدَه
به فتح الرحمٰن خَيْبَرَ عَنْوة ... وسدَّ به ما قبله لم يَسُدَّه

(١) يشير إلى مسارعة عثمان إلى الإسلام فى الوقت الذى كان الناس فيه يردون دعوة الداعى إليه. (٢) كذا فى ط، ص. وفى م: «براهن تال كل عجل وفقده».
(٣) فى ط: «قاهر»، وهما بمعنى.

وكان رسول الله قال لأعْطِيَنْ غدًا راية الفتح المبين وبَنْده
فتًى وَدَّه خَــــلَّاقه وأودُّه كما ودَّنا والله يَنْصُر وُدَّه
فلم يك يُعْطاها سِواه كرامةً بها اختصَّه مَنْ شَدَّ بالعَضْدِ عَضْدَه
[وقد كان مشدود المحاجرِ أَرْمدًا ففتَّح رِيقُ الحِبِّ ما الدَّاء سدَّه
فهب هبوب الريح قسْوَرُ جحفل تولَّى به ربُّ البرِيَّة عضـده]
و بالباب بابِ الحصن يسراه ترَّست فلله منه قسور ما أشــدَّه
هو الآية العظمى التى طُفِئتْ به من الـكفر ماقد أضرم الجهْلُ وَقْده
ومن كان مولاه الرسول فإنه كذلك مولاه فطوباك عبدَه
أبوه الذى رَبَّى النبيَّ ولم يزل له حاميا فى السِّرِّ والجهر جَهْده
متى خاصمت فيه قريش تلقَّهم خصيمَ اللسان الهـاشمىِّ مِلَدَّه
ومن قوله فيــه يعظم شأنَه وينشر ما الرحمٰن أودعَ مجده
« وأبيضَ يُستسقَى الغمامُ بوجهه » ثمالُ يتيم كدّر اليُتْمُ وِرْده
فياحسرتَا إن مات لم يَجْنِ زهرة قد أبْرَزَها الإيمان بالله وحده
ولـكنها الأقدارُ تنفُذ بالذى نودّ وقد تجرى بما لن نوَدَّه
فينأى الذى أَدْنى و يُدْنى الذى نآى وكلٌّ بعلمٍ يجهلُ العبدُ قصده
ونجلاه سبطا المصطفى السيِّدان مِن بنى المجدِ لا ضيمٌ يَنالُ مُعدَّه
حبيباه فى الدارين ريحانتاه لم يزل منهما يستنشق الوردُ وِرْده [٧٠٣]
وأُمُّهمَا من أحمدٍ بَضْــعَةٌ ومن يكن من رسول الله جُزْءا يُمَدَّه
أفاطم لم يبلغ نُصَيْفَك فاضلٌ من الخلق لم يبلغ أولو الفضل مدَّه
فيا صاح قل لا مجد يشبه مجده وصوتك مهما قلت « لا » فلْتَمُدَّه
أبو الحسَنِ الأسْمَى علىُّ العُلَا الذى هو البحرُ لم تُدْرِك يَدُ الجَزْر مَدَّه

***

وخامسُهم بحرُ النَّدَى الأسَدُ الذى يَبُذُّ ليوث الباس أَيْدًا وأُسْدَه
مُفَدَّى رسولِ الله بالوالدين إذ مَلا قلبَه المغْسُولَ بَرْدًا وكِبدَه
وبشَّرَ من قد حَزَّ بالسيف رأسَه لئيمَ زمانٍ كان فيه وَوَغدَه
بنارٍ لها غيظٌ على كل قاتل بعَمْد فما أردَى وأشْأَمَ عَمْده
حوارِيُّه مَنْ قد حَوَى زِيُّه سنًى سنى العلمِ بالرحمن كان يُمِدَّه
أبو عابِد الله الزبيرُ الذى امتطى مُطَهَّمَة المجد الأثيل وجُرْده

* * *

وسادسُهم ذو الجود والسُّودَد الذى يعد الصدِى اللهفانَ للغوث عَدَّه
موقّى رسول الله بالكَفّ جودُها يُحِلّ من العيش المهنَّإِ رغده
فَشُلَّت وقد سَلَّت من الهند مُرْهفا محلًّى صقيلا أكسب الفخرَ هِنْدَه
فطُوبَى لها يُمْنَى جنتْ ثمر المُنَى وقد حَليَت قُلْبَ النَّعيم وقَلْده
[فقلْ طَلحةُ ذو المجد طَلحُ ثِقايةٍ(١) لسانُ بيان الشرع أحكَم نضدَه]

* * *

وسابعهم ذو الفضل أقصدُ سالك أدلَّ طريقٍ للهدى وأسدَّه
ومُفرِغُ قَطْرِ الزُّهْدِ يجْعَلُ بينه وما بين يأجوجِ الزَّخارفِ سدَّه
أميرُ أولى الإيمان عامرُهم أبو عبيدةَ ذو الخير الذى لَنْ نَعدَّه

* * *

وثامنهم ذو المجد فى المال والتقى فلله ما أجدَى وأبْرَكَ وُجْدَه
ملا ذِكرُه بطنَ السماء ومالُه ملا بَطْنَ هذى الأرض غوْرًا ونجده
وكم بات لم يَطْعَم وأطعم غيرَه وقامَ ولم يَتْرُك من الجوع وِرْدَه
مُعمِّم خير الرُّسْل فاتحُ دُومَة كما وَدَّ خيرُ المرسلين وَوَدَّه

---

(١) كذا ورد هذا البيت فى ص . وفى م : « طلح تنال من » .

فذاك ابن عوفٍ مُقْلَة المجد طَرْفه   أجلُّ فتًى يُثْنى عليه وَيُمْدَه

* * *

وتاسعهم ذو الرَّمْى بالنبل والدُّعا   فَمَنْ يُرْمَ مِنْ قَوْسٍ وفيه يُوَدَّه
له السيرة الحُسْنَى له النَّجْدَة التى   رمت فارسَ الكُفْر الصُّراح وكُرْده
فعوَّضهم من عيشهم واعْتزازهم   بموتٍ وذُل يعذُب الموت عِنْده
فكَمْ فرسٍ قد راحَ أشهبَ واغتدى   من الدَّم يحكى أشقر اللَّون وَرْدَه
وكم فارس مِن فارس بشماله   عِنانٌ فقَدَّت منه يُمناه قَدَّه [٧٠٤]
فيابْن أبى وقَّاصٍ أنك واقِصٌ   من الكُفر جيلا أوجب الله طَرْدَه
ويا سعدُ يا خالَ النبى لقد سمَتْ   فروعُ نِجارٍ ثابتٍ كنتَ سَعده

* * *

وعاشرُهم ذو النُّسْك كالمِسْك ذكرُه   سعيدٌ ولا سعدٌ يماثل سَعدَه
فتى المَكْرُمَاتِ الأكرم الماجدُ الذى   يُزَيِّنُ جَمْعَ المجْد طُرًّا وَوَفْده
سُلالة زَيْد الفخرِ أرشدِ(١) مُهْتَدٍ   عن الشِّرْك جَدٌّ سابق قد أصَدَّه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
يُبْعَث زيد بن عمرو بن نُفَيْل أمة وحْدَه .

* * *

ومما به أيضا حَبَا الله أحمدًا   وعزَّز ذا الدينَ العزيزَ وَجُنْدهُ
ذَوُو المجد عمَّاهُ وجعفرٌ الذى   ملائكةُ الرِّضوان وارَتْهُ لَحْدَه
فحمزة ليثُ الله لا لَيْثُ غابة   يُصَادِرُه إن هاجَتِ الحربُ جُرْدَه
له الفتكاتُ البيضُ سَوَّدَتِ العِدَا   وزادت سَنَى بدرِ الجهاد وأُحْدَه

---

(١) فى م : « أول » .

وكان إذا ماقرَّبَ الطِّرْفَ وامتطى قَرَاهُ بِرِيشِ الرَّأْلِ يُعْلِمُ بُرْدَهُ
ولا بُرْدَ إلّا نَثْرَةٌ عربيَّـــة لأمثالها داودُ قَدَّر سَرْدَه
فَيُرْعَد منه القِرْنُ حتَّى كأنما به نافِضٌ[(١)] قد قرَّب الروْعُ وِرْدَه
إلى أنْ أراد الله منه شهادة تُبَوِّئُه عَدْنَ[(٢)] الجزاء وخُلْدَه
على يد أشقى الزَّنْج راميه غَدْرَةً بحربته شَلَّ المهيمنُ زَنْدَه
فنادَى الذى قد ألحفَ الذنبُ قلبه بأسودَ مما ألحفَ الربّ جِلْدَه
بقتلكَ يا وَحشيُّ سامِيَ سامِها أصاب سوادُ الجلد حاما وَوُلْدَه

* * *

وعباسٌ العمّ الأعمُّ مَكارمًا تُقَصِّرُ من فخر الكرامِ أمَدَّه
أبو الخُلَفا ساقى الحجيج أجَلُّ مَنْ به يُصْرَفُ الصَّرْف الجليل ويُنْده[(٣)]

* * *

وجعفرٌ الطَّيَّار ذو المشهد الّذى ملائكة الرَّحْمٰن غدت فيه شُهْدَه[(٤)]
مُحَمِّرُ راياتِ الهُدى بدم العِدا بنى الأصفر الأسْدِ الأُلى لم يُدَهْدَهُوا[(٥)]
مُقَـــدِّمُ يُمناه ويُسراه قُرْبَةً إلى منْزِلٍ فى دار عَدْنٍ أعدَّه
وأمْسك بالعَضْدين بعدهما اللِّوا لواءَ الهُدى يَبغى من الله عَضْده

* * *

وبعدَهمُ الأنصارُ والكلُّ أنجمٌ قد أطلعها مولاهُ تَكْلأ مجده
بهم خُضِد[(٦)] الإشراكُ شرْقا ومغْربا ولولاهمُ ما كان أعْوصَ خَضْده !

---

(١) النافض : ضرب من الحمى ينتفض منه الجسم . (٢) فى م : «عدل» .
(٣) ينده : يبعد ويطرد . (٤) شهد : جمع شاهد .
(٥) لم يدهدهوا : يريد لم يهزموا .
(٦) فى م : «خمد» .

ذَوَا بِلِهِمْ قُضْبَانُ بانٍ نواعمٌ قَدَ أُنْبِتْنَ سُوسانَ الحديد وَوَرْدُهُ [٧٠٥]
تصيبُ قلوبَ الشِّرْكِ طَعْنًا[1] كأنها تُحِبُّ القضا الجارى فتقصِدُ قَصْدَه
وإلّا فبيْن الشِّرك حقدٌ وبينها فتطلبُ منه مَوْضِعا ضمَّ حِقْده
وأسيافُهم زُرْقٌ رِقاق كأنها نِطافٌ[2] بها قد عيَّنَ الموتُ وِرْده
ذكورٌ ويَعرُوها المَحيض كأنها إناث ولا غُسْلٌ عليهنَّ بعدَه
فيا مَعْشر السادات والكلُّ منكُمُ يَرى الصَّبْرَ فى نصر الهدى هو شَهْده
كأنَّ عُدَاة الدين زرْعٌ مُحَطَّمٌ توليتمُ بالبيض والسُّمْر حَصْده
فأقْرَرْتمُ عينَ الرسول وحَسْبُكُم بذا قُرَّةً تُهدِى إلى الطَّرْفِ بَرْده

* * *

ولله من أزواجه أمهاتِنـا فرائدُ عَلْياءَ قَدُ أُشْرِبْن وُدَّه
وأكرَمُهُنَّ الدُّرَّة الفَذَّة التى بها زَيَّنَ المجـدُ المؤثَّل عِقْده
خديجةُ ذات الجاه إن يَنْشُدِ امرؤ به اللهَ فى أمر تقبَّل نَشْده
لها الأثر المحمود والأُثَرُ[3] التى مَتى مرَّ عَرْف الطِّيب عنه تَرُدُّه
بنو المصطفى ما دون إبراهِمَ الذى رَدَاهُ رِداءَ الصَّبْرِ بالثُّكْل قَدَّه
بنوها وكلٌّ أَشْمُسٌ وَأَهِلَّة كواملُ رسمَ الفخر حازوا وحَدَّه
وفيها رسولُ الله قال مكرِّما خليلاتِها والدمع يُخْضِلُ خدَّه
ألا إنها كانت تزورُ خديجةً ومِنْ خُلُق ذى الإيمان يحفظ عهدَه
فبشَّرَها جبريلُ عن ربِّها بما لها اللهُ فى دار النَّعيم أعدَّه

* * *

(١) فى م: «فيها».
(٢) كذا فى س، والنطاف: جمع نطفة، وهى الماء الصافى. وفى ط: «قطاف»، وفى م: «مطاف».
(٣) الأُثَر (جمع أثرة كغرفة): المكرمة المتوارثة.

وعائشةُ بنتُ الحَبيب عَتِيقِ الْـــــمُصَدِّق إيعادَ الرسول ووَعْده
فريدة نِسْوان الوجود مَناقبًا متى يَبلَ ذكرٌ صالح تَستجدّه
عَليمة أهل العلم شمسُهم الّتى جلَتْ سُدَف الجهل المُضِلِّ وسَدّه

* * *

وحَفصةُ ذات الصِّيت والمَنصِب الذى هو الطَّوْد لا تَرقَى السوابقُ مَهْدَه
مُوَاصِلةُ الأوْراد والصَّوْمِ دائمًا مواصَلَة القلب الموحِّد عَقْدَه

* * *

وفَذّةُ مخــزومٍ جلالا مبلَّغا قَصِيّ المُنَى فى المنزلين مُعَدَّه

* * *

وزينبُ ذاتُ الطَّوْل والطُّول أنمُلاً مواهبُها تُنسِى[1] الغَمام وعهده

* * *

وزينبُ ذاتُ الفضل بِنتُ خُزَيْمَةٍ لقد وصلَتْ بالجود ما البُخْلُ جَدّه

* * *

وسَوْدة ذات السُّؤْدَدِ العِدِّ[2] والتُّقى متى صَدَّ عن قلب تُقًى لم يَصُدَّهو

* * *

ومَيْمونةُ الميمونة البرّةُ التى لها الفضلُ لم تَرْقَ الفواضل نجده[3]

* * *

[٧٠٦] وبنتُ حُيَيٍّ رَبّة الصَّوْنِ والحيـا صَفِيّةُ مَنْ أصْفَى لها السَّعْدُ وُدَّه

* * *

ورَمْلَة رَمْلُ الأرض يمكن عَدُّه لنـا والذى خُصَّتْ به لَنْ نَعُدَّه

* * *

(١) فى ط : « تنمى » . (٢) كذا فى ط ، ص . والعد : الكثير . وفى م : « الفذ » .
(٣) فى ط : « مجده » .

وجارية العَلْيا جُوَيْرِية التى تَقُدُّ سناما أُخْتُها لم تَقُدَّه(١)
هنا منتهى الأزواج والكل أَشْمُسٌ سناهُنَّ أسدافَ الجهالة يَشْدَه

* * *

وما رِىءَ مِنْ تِرْب لمارية الَّتى هواها له لا صَرْد(٢) يُشْبِه صَرْدَه
سَرِيَّة سُرِّيَّاته أىُّ مَنْزِلٍ يُرَقِّ(٣) من الطَّوْد الفَخَارِىّ فِنْده
فسُرِّيَّة الإنسان تسمو بمن لها تَسَرَّى وهذا المجد(٤) تَعْلَمُ جَدَّه
وإن لم تكن أُمًّا لنا فَهْىَ أُمُّ مَنْ لِفقدانه أبدى حبيبُك وَجده

* * *

حبيبى حبيبى فِطْرَةً وَشريعةً قَدَ احْكَمَتا مِنْ حَبل حُبِّىَ مَسْده(٥)
مدحتك والأزواجَ والصَّحْبَ والأُلَى بقُرْباك شُهْبَ الفخر أَجْرَوْا وَوَرْدَه
فعاد مُجَلِّى كلِّ فَخْرٍ قُدامِس سُكَيْتًا تولَّى القِرْدُ بالسَّوط جَلْدَه(٦)
هو المدحُ ما كرَّرتَه زادَ طِيبُه فَيُنْسِى مَشُورَ الأَرْىِ طَعْمًا وقَنْدَه(٧)
فَصِلْه أيا فكرى لعلك بالغ من البحر ذى الماء الرِّوَى العذب ثَمْدَه(٨)
ولازمْ جناب المجد ذا المجد مادحا ودع جانبا هِنْد الجمال وَدَعْده
ولا تطلُبى يا نفس غيرَ شفاعةٍ ووصْلَ كريم(٩) لا أُحاذر صدّه
وعافيةٍ شُهْبانُها كلَّما عَرَا بلاءٌ تولَّت عن جَنَابِىَ لَهْدَه(١٠)

(١) كذا فى الأصول ، ولم نتبين معنى الشطر الثانى .
(٢) الصرد : الصافى الخالص من كل شىء . (٣) فى ط : « يلقى » .
(٤) فى ط : «الجد» . (٥) المسد : الفتل .
(٦) القدامس : الشديد . والسكيت : آخر خيل الحلبة .
(٧) مشور الأرى : العسل المجموع من الخلية . والقند : عسل قصب السكر إذا عقد .
(٨) الروى : الماء الكثير . والثمد (بسكون الميم هنا وقد تحرك) : الماء القليل .
(٩) فى ط ، ص : « نعيم » . (١٠) لهده : دفعه ورده .

وقَمْعَ عُداة لم يخـافوا إلٰهَهُمْ فبارَوْا ذِئابَ القَفْر ضُرًّا وعُقْده
مذاهبُهم ظَلْم العباد فإن يَقُل لهم ناصح كُفُّوا عن الظلم يزْدَهوا
وعبدُك بالإيثـار دانَ فلم يكُن ليَخْتَصَّ دون الغَيْر بالخير وَحْدَه
فَعَمَّ بهذا الخـير كلٌّ موحِّد هواك لديه خيرُ عِلق[1] أعدَّه
وسلِّم رب العرش بدءًا وعَوْدةً عليك أيا فَذَّ الوجود وفَرْده
سلامًا يُضاهي هَدْيَ مَنْ قدذكَرتُه[2] وتصليةً جاءَتْ كذلكَ بعده

انتهى ما أردت جلبَه من كلام هـذا الإمام ، فى تمثال نعل المصطفى عليه الصلاة والسلام .

* * *

عناية الصالحين بالنعل الكريمة

قلت : وقد اعتنى الناس والأئمة بتمثال النَّعل الكريمة ، وكيف لا ، وحُقّ
[٧٠٧] على كل مؤمن أن يَفْلِيَ لمشاهدتها الفَلا ، فإذا شاهدها قبَّلها ألفا وألفا ، وتوسَّل بصاحبها إلى الله [الكريم] زُلْفَى ، ولَثَمَ ثَرَاها لَثْما ، وأزاح [به] عن نفسه حُوبًا وإثما ؛ وجعلها فوق رأسه تاجا ، واستغنى بالتوسل بِمَنْ لَبِسَها فلم يَكُ إلى غابِرِ الدهر مُحْتاجا . وقد أفردها أبو اليُمْن بنُ عساكر بالتأليف ، وصنّف فيها جزءا مُفْردا ؛ وكذلك أفردها بالتأليف أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خَلَف السُّلَمِيّ ، الشهير بابن الحاجّ ، من أهل المَرِيَّة ، وكذا غيرهما[3] .

---

(١) كذا فى ط . وفى ص : «عقد» . وفى م : «خلق» .
(٢) كذا فى م . ورواية هذا الشطر فى ط ، ص : «سلاما يضاهى للذى مر ذكره» .
(٣) فى هامش ص أمام هذا الموضع ما نصه : « وقد ألف فيها المصنف تأليفا سماه : فتح المتعال . وذكر العياشى فى رحلته أنه رأى بالمدينة تأليفا لبعض القرطبيين ، فيه نحو ٥٥ قصيدة لم يطلع عليه هذا الشيخ ، رحم الله جميعهم » .

بعض ما جرب من بركتها

ومن بعض ما ذُكِر فى فضلها، وجُرِّب من نفعها وبركتها، ما ذكره أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد، وكان شيخا صالحا وَرِعا، قال: حَذَوتُ هذا المِثال لبعض الطلبة، فجاءنى يوما، فقال لى: رأيتُ البارحة من بَرَكة هذه النعلِ عَجَبا، أصاب زوجى وجع شديد كاد يُهْلِكُها، فجعلتُ النعل على موضع الوجع، وقلتُ اللّهُمَّ أَرِنى بركة صاحبِ هذه النعل، فشفاها الله لِلْحِين.

وقال أبو إسحاق: قال [محمد] أبو القاسم بن محمد: ومما جُرِّب من بركته أنَّ مَنْ أمسكه عنده متبركا به، كان له أمانا من بَغْىِ البُغاه، وغَلَبة العُداه؛ وحِرْزا من كل شيطان مارد، وعينِ كلّ حاسد؛ وإن أمسكته المرأة الحامل بيمينها وقد اشتد عليها الطَّلْق، تيسَّر عليها أمرُها بحول الله وقوّته.

لأبى اليمن بن عساكر فى مدحها

ولله درّ الإمام [الشيخ] أبى اليُمْن بن عساكر رحمه الله حيث قال:

يا منشدًا فى رسم ربعٍ خالى ومُناشدًا لدوارس الأطْلالِ
دع نَدْبَ آثارٍ وذِكرَ مآثر لأحبَّةٍ بانُوا وعَصْرٍ خالى
والْثِمْ ثَرَى الأثَرِ الكريم فحبَّذَا أنْ فُزْتَ منه بلَثْمِ ذا التِّمثال [٧٠٨]
أثرٌ له بقلوبنا أَثَرٌ لها شُغْل الخَلِيِّ بحبِّ ذات الخال
قبِّلْ لك الإقبالُ نَعْلَىْ أَخْمَصٍ حَلَّ الهلال بها محلَّ قِبال
أَلْصِقْ بها قلبًا يقلِّبُه الهوى وجِلًا عَلَى الأوصاب والأوجال
صافِحْ بها خدًّا وعفِّر وَجْنَةً فى تُرْبِها وَجْدًا وفَرْط تَغال
تَشْفِيكَ حَرَّ جوًى ثَوَى بجوانحٍ فى الحبِّ ما جَنَحَتْ إلى الإبلال
يا شِبْهَ نعل المصطفى رُوحى الفِدَا لمحلِّك الأسمى الشريف العالى
هَمَلتْ لمرآك العيونُ وقد نأى مرْآى العِيَان بغير ما إهمال
وتذكَّرتْ عهدَ العَقيق فناثَرَتْ شوقا عقيقَ المَدْمَع الهطّال

وصَبَتْ فواصلَتِ الحنينَ إلى الذى ... ما زالَ بالِى منــه فى بَلْبالِ
أذكرتِنِى قدمًا لها قدمُ العُـلا ... والجودِ والمعروفِ والإفضـــال
أذكرتنى مَنْ لم يزل ذِكْرى له ... يعتاد فى الأبكار والآصال
لو أنـ خدِّى يُحْتَذَى لمثالها ... لبلغتُ من نيل المُنَى آمالى
ولهـا المفاخر والمآثر فى الدُّنا ... والدين فى الأقوال والأفعال
أو أنَّ أجفانى لوطء نعالهــــا ... أرضٌ سمتْ عزًّا بذا الإذلال

* * *

ولمالك بن المرحل فى مدحها

وما أحسن قصيدة نسبها الشيخ أبو إسحاق بن الحاجّ ، للأديب العلامة أبى الحَكَم مالك بن المرحَّل ، رحمه الله تعالى ، وهى [قوله] :

بوصف حبيبى طرّزَ الشعر ناظمُهْ ... ونَمْنَمَ خَدَّ الطِّرس بالنقش راقِمُهْ
رَءوف عَطوف أوسعُ الناس رحمةً ... وجادت عليهم بالنوال غمائمُه
له الحسن والإحسان فى كل مَذْهب ... فآثاره محبوبة ومعـــالمه
به ختم الله النبيين كلّهم ... وكلُّ فَعال صالح فهو خاتِمه
أُحِبُّ رسولَ الله حُبًّا لو أنه ... تقاسمه قومى كَفَتْهم مَقاسمه(١)
كأن فؤادى كلما مرّ ذكرُه ... من الوُرْق خفّاق أصيبت قوادمه
أهيمُ إذا هبّتْ نواسمُ أرضــه ... ومَن لفؤادى أنْ تَهُبّ نواسمه
فأنشَقَ مِسْكًا طَيّبًا فكأنّما ... نوافِجُه جاءتْ به ولَطائمــه
[٧٠٩] وممّا دعانى والدّواعى كثيرةٌ ... إلى الشَّوْق أنَّ الشّوقَ مما أُكاتمه
مِثالٌ لنعلَيْ من أُحِبّ حديثَه ... فها أنا فى يومى وليلى لاثمه
أجرُّ على رأسى ووجهى أديمَه ... وألثمه طوْرا وطورا أُلازمه

(١) كذا فى م . وفى ظ ، س : « قسائمه » .

أُمَثِّله فى رِجْل أَكْرَم من مَشَى فتُبصِره عينى وما أنا حالمهْ
أُحَرِّكُ مِنْ خَدَّىَّ أَحْسب رَفْعَه على وَجْنَتِى خَطْوًا هُناك يداومه
ومن لى بوَقْعِ النَّعل فى حُرِّ وَجنتى لماشٍ علَتْ فوق النجوم بَراجِمه
سأجعلُه فوق الترائب عُوذَة لقلْبى لعلَّ القلبَ يَبْرُد جاحمه
وأَرْبطُه فوق الشئون تميمةً لجَفنِى لعلَّ الجَفْنَ يرقأُ ساجمه
ألا بأبى تِمثالُ نعـــــلِ محمد لَطَاب مُحاذِيه وقُدِّسَ خادمه
يودّ هِلال الأفق لو أنه هَوَى يُزاحمنا فى لثمه ونزاحمـــــه
وما ذَاك إلا أن حُبُّ نبيِّنا يقوم بأجسام الخليقـة لازمه
سلام عليه كلما هبَّت الصَّبَا وغَنَّتْ بأغصان الأراك حَمائمه

* * *

وللقرطبى فى ذلك أيضا

وللشيخ أبى بكر أحمد بن الإمام أحمد بن الإمام أبى محمد عبد الله القُرْطُبىّ فى ذلك :

ونعلٍ خَضَعْنا هَيْبَةً لبهائها وإنّا متى نخضعْ لها أبدًا نَعْلُ
فضعْها على أعلى المفارق إنها حقيقتُها تاجٌ وصورتُها نعل
بأَخْمَص خير الخلق حازت مَزِيَّة على التاج حتى باهت المَفْرِقَ الرِّجْل
مَعانى الهُدَى عنها استنارتْ لمبصر وإنّ بحار الجود من فيضها تَحْلُو
سلَوْنا ولكن عن سواها وإنما يهيمُ بمغناها الغريبُ وما يسلو
فما شاقنا مذ راقنا رسم عِزّها حميم ولا مال كريم ولا أهـل
شِفاء لِذِى سُقم رجاء لبائس أمانٌ لذى خوف كذا يُحسب الفضل [٧١٠]

* * *

ما كتب فى بعض تماثيل النعل

ورأيت فى بعض تماثيل النعل الكريمة مكتوبا بطَرَفها [الشريف] ما نصه :

مثالُ نعل الرسولِ   خُذْهُ بحُسْنِ الْقَبولِ
ففضله ليس يُحْصَى   لدفع كلِّ مَهُولِ

وفى وسطها ما نصه :

أُمَرِّغُ فى المثال بياضَ وجهى   فقد عَقَدَ(١) النبىُّ لها قِبالَا
وما حبّ المثال شغَفْن قلبى   ولكن حُبُّ من لَبِسَ المثالا

ورأيت مكتوبا بدائرتها ما نصُّه :

ما كان هذا المثال الكريم فى دار فسُرِقت ، ولا فى سفينة فغَرِقت ، وفيه خواصُّ عجيبة . انتهى :

* * *

ماوقع للفاكهانى حين رأى تمثال النعل

وقد حكى غير واحد أنَّ سِرَاج الدين ، سيدى عمَرَ الفاكهانى شارحَ العمدة والرسالة ، لما أبصر تمثال النعال المطهّرة أغمى عليه ساعة ، ثم أنشد [حين أفاق متمثلا :

ولو قيل للمجنون ليلَى ووصلَها   تريدُ أم الدنيا وما فى زواياها
لقال غبارٌ من تراب نعالها   أحب إلى نفسى وأشفى لبلواها

وقد ذكر أن السِّراج الفاكهانى] لما أُحتضر أغمى عليه ساعة ، فلقَّنه بعض من حضره ، ففتح عينيه وأنشد :

وَغَدَا يُذَكِّرنى عهودًا بالحِمَى   ومتى نَسِيتُ العهد حتى أذكرَهْ

(١) فى م : « جعل » .

ثم أُدخل عليه تمثالُ النعل الطيبة ، فحين شاهدها أغمى عليه ساعة ، ثم أنشد البيتين المذكورين حين أفاق .

* * *

ما قاله ابن رشيد حين رأى تمثال النعل فى دمشق

وقال الشيخ الرحّال أبو عبد الله بن رُشيد الفِهْرىّ :

لما دخلت دار الحديث الأشرفية برسم رؤية النعل الكريمة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولثمتها ، حضرتنى هذه الأبيات ، فقلت :

هنيئًا لعَيْنى أنْ رأت نعلَ أحمدِ ... فياسَعْدَ جَدِّى قد ظَفِرت بمقصِدِى

وقبّلتُها أَشْفِى الغليلَ فزادنى ... فياعجبًا زاد الظَّما عِند موْرِدى [٧١١]

فلله ذاك اللثمُ لَهْوَ ألذُ مِنْ ... لَمَى شَفَةٍ لَمْيَا وخدٍّ مُوَرّد

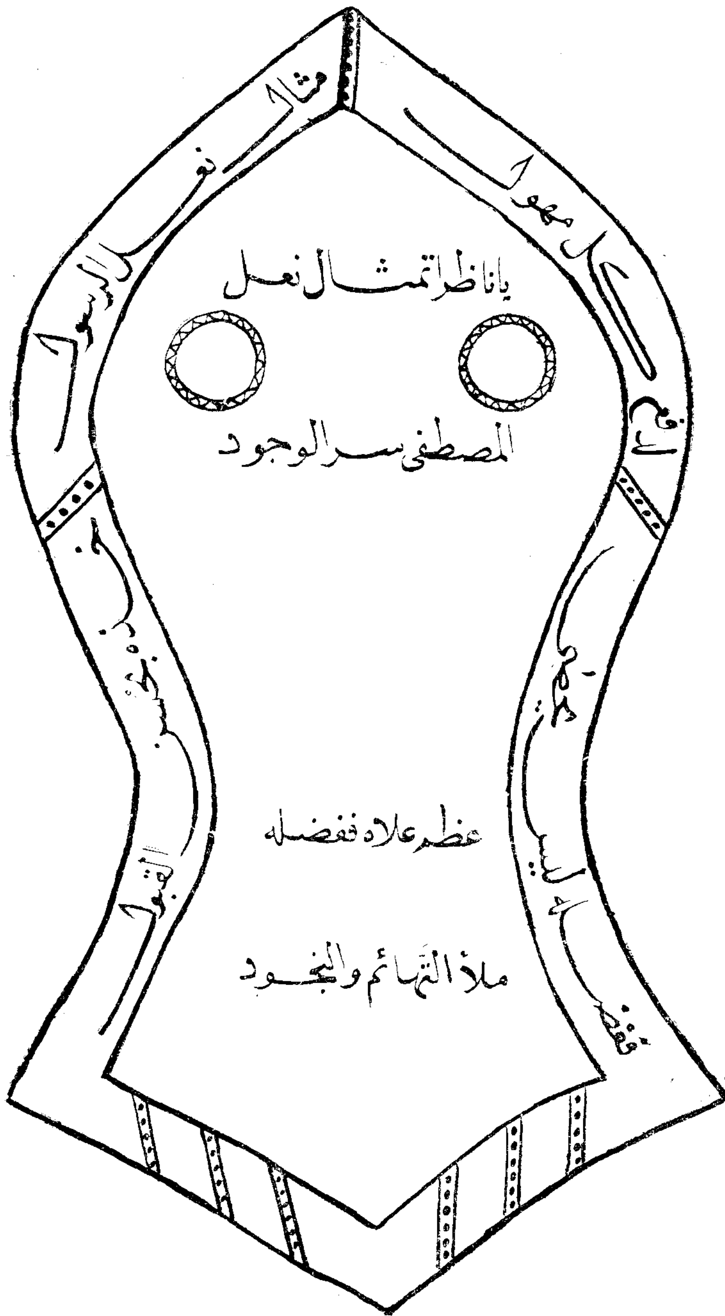
ولله ذاك اليوم عيدًا ومَعْلَمًا ... بتاريخه أُرِّختُ مولدَ أسْعد

عليه صلاة نشرُها طيِّب كما ... يُحبُّ ويَرضى رَبُّنا لمحمد

* * *

ولا بدَّ أن نَرْسُم تمثالَ النعل الكريمة ، تبركا بصاحبها عليه الصلاة والسلام .

وهذه صفتها :



تمثال النّعْل النبويّة ، فى دار الحديث الأشرفيّة بدمشق ،
كما رسمته النسخة التّيْموريّة

[ما كتب فى المثال الأيمن]

وكتبتُ(١) فى داخله ما نصُّه من نظم المؤلف رحمه الله تعالى :

يا ناظرًا تِمثال نعْـل المصطفى سِرّ الوجودْ
عَظِّم عُلاهُ ففضـله مَلأ التهـائم والنُّجُود
واجعـله خير وسيلة فالله ذو كرم وجُود
صلَّى عليـه اللهُ ما أحيا الحيا الروضَ المَجُود

ولغيره :

يا مُبْصِرًا تِمثالَ نعـلِ نبيّهِ قَبِّلْ مِثال نعالِه مُتَـذَلِّلا
واذكر به قَدَما علت فى ليلة الْـ إسرا به فوق السموات العُلا
واخضعْ له وامسحْ جبينَكَ واتكُنْ متبرِّكًا أبدًا به متوسِّـلا(٢)

وللمؤلف رحمه الله تعالى :

يا مُبْصِرًا تمثالَ نعـلٍ قد علا طالِعْ محاسنه وكن متوسِّـلا(٣)
واخْضَعْ له وامسح جبينك ولتكُنْ مُتَـبَرِّكًا أبدا به مُتوسِّـلا(٢)
واسألْ به مُتَضَرِّعًا مُسْـتَمْطِرًا أَلْطَافَ رَبٍّ لم يزل مُتَفَضِّـلا
فَهْوَ الوسيلة والمَلاذُ إذا عَرَا خَطبٌ وأَضحى الكربُ أمرًا مُذْهِلا
فلَـكَمْ أغاثَ مَنِ استغاثَ بجاهه وأَناله أقصى المَرَامِ مُسَهِّـلا

(١) رسم الـكاتب فى ص مثالَى النعل ، وكتب بداخلهما هذه الأشعار كلها . واكتفت م برسم أحد المثالين وفيه بعض هذه الأشعار ، وقد نقلنا صورة المثال الذى فى م . أما ط فإن الـكاتب ترك موضعا خاليا للمثالين ، ولـكنه لم يرسمهما ، ولم يذكر شيئا من الأشعار التى كتبت فيهما — نقول : وأكبر الظن أن ما كتب بداخل مثالى النعل ليس من عمل المؤلف ، لاختلاف النسخ فى ذلك .

(٢) هذا البيت مكرر مع البيت الثانى من مقطوعة المؤلف التى تلى هذه الأبيات . ولعله من زيادة الناسخ هنا كما تدل عليه نسخة ص . (٣) هذا البيت ساقط من ص .

يا خيرَ خلقِ الله دعوةَ حائرٍ ... لم يتخذْ إلا جنابَك مَوْئِلا
صلِّ عليك الله يا نور الهُدَى ... والآلِ والصحب الكرام ومن تلا[1]
ما حَنَّ مُشْتاقٌ لذكرك أو غدَا ... لمثال نعلِكَ لازمًا ومُقبِّلا[2]

وللشاميّ الفقيه من أهل العصر :

أيا ناظرًا متِّع جفونَك ساعةً ... بأزهار هذا الرَّوض من حيث ما تخطو
وقفْ مَوْقِفَ الإذلال لله واطَّلبَنْ ... بها نعْمَةَ الرِّضوان إن راعَكَ السُّخْطُ
فلو لم تكن مقبولة عند ربنا ... لما كان من هذا النعال بها وَخْطُ

والمؤلف :

يا ناظرًا تمثالَ نعْـل المصطفى قبِّله ألْفَا
واجعله خير وسيلة ... تدنِي إلى الرحمن زُلْفى
واحفَظه فهْو ذخيرةٌ ... ما مثلُها فى الدهر يُلفَى

وللشامىّ أيضا :

أيا نعلَ الرَّسولِ سموْتِ قَدْرًا ... وفَخْرِى غيرُ خَفِيٍّ لِلَّبيب
أقولُ لمنْ بحِبِّي ذاب شوقا ... وأعْيا داؤه طِبَّ الطبيب
تنشَّقْ مسك أنفاسى لِتَشفى ... بهذا الطِّيب من عَرْف الحبيب

والمؤلف أيضا :

بِشَرَف المختار قد شُرِّفَتْ ... نِعَاله حتى سما ذا المثالْ
فاسأل به الرَّحمنَ جلَّ اسْمُه ... فما به يُسْأَل إلا أَنال
وكيف لا يُدرِكُ مستمسكٌ ... بالعروة الوثقى المُنَى بالسُّؤال

---

(١) رواية هذا الشطر فى ص : « ما دام نعلك فى الشفاعة مقبلا » .
(٢) هذا البيت ساقط من ص .

وجاهُ خير الخلق أَعْظِم به مَلاذُنا فى حالنا والمآل
صلى عليه الله مَعْ صحْبِه وآله أجلِّ صحب وآل

انتهى ما كتب فى المثال الأيمن .

[ما كتب فى المثال الأيسر]

وفى الآخر ما نصّه :

والمؤلف :

يا ناظرًا تمثال نعل المصطفى فى ذا الكتابْ
قبِّلْه ألفًا ثمَّ زد ما شئت[1] لا تَخْشَ العِتاب
واسأل به ربَّ الوَرَى سبحانَهُ حُسْنَ المآب[2]

وله أيضا مما قاله بديهة :

حاز هذا المثالُ كل المزايا إذْ حكى نعلَ رجْلِ خَيْرِ البرايا
أحمَدَ المصطفَى المَلاذ إذا ما طرَق الدهرُ أهله بالبلايا
مَلجَإِ العالَمين طُرًّا إذَا ما جُمِعَ الناس يوم تُخْشَى الرَّزَايا
خِيرةِ اللهِ ، مُجْتَبَاه ، وَمَنْ حا زَ خِلالًا حميدة وعطايا
فعليه الصلاةُ ما قبَّلَ النّعْلَ مَشُوقٌ يرومُ محْوَ الخطايا

وللكاتب المكلاتى من أهل العصر ، يشير إلى هذا المثال الكريم :

انظُرْ إلى البدر وتَكْليمِه بين شِرَاكٍ يا لها من قِبالْ
ما صار كالعُرجون من ثَمّه إلّا محاكاة لهذا المثال

(١) فى ص : « إن شئت » . (٢) فى ص : « المتاب » .

والمؤلف أيضا فى ذلك :

يا ناظرًا فى مثالِ أضحى هنا ذا ارْتسامِ
يحكى نعالا تناهَتْ فى الُحسن دون مُسامى
قبِّلْه تقبيلَ صَبٍّ مُوَلَّهٍ مُسْتهام
وضعْه من فوق رَاسٍ تاجًا لمَفْرِق هام
وابسُط له حُرَّ وجْهٍ ولا تخفْ مِنْ مَلَام
ففضْله ليس يُحصَى بنثرٍ أو بنظام
واحفظ علاه وصُنْه وكُنْ له ذا احترام
أمانُ حُرْفٍ وخوف تيسيرُ كلِّ مَرام
لا يَطْرُقُ الدهر دارا غدَتْ به فى اتِّسَام
والفلكُ إن كان فيها لم يخش من هول طامى
فيا لها بركاتٍ شهيرَةً فى الأنام
وكيف لا وهو يُنْمَى للهاشمىِّ التِّهامى
خير البريَّة طُرًّا إمام كل إمام
أسخَى الخليقة كَفًّا أرْعاهُمُ لِذِمام
إنسان عين المعالى وذو السجايا الجسام
عليه أزكى صلاةٍ بطَيْبة وسلام
والصحب والآل طُرًّا والتابعين الكرام
ما استُنْشقتْ نسماتٌ مِنْ عَرْف مِسْك الختام

* * *

انتهى ما فى النعل الكريمة ، واتصل به ما نصه :]

ولابن جابر الوادى آشى فى ذلك أيضا

وممـا قيل فى النَّعل الـكريمة ، قولُ الإمام المحدِّث الرَّحَّال ، أبى عبد الله محمد بن جابر الوادِى آشِى ، ونظَمَها بدار الحديث الأشرفية من دمشق ، وقد رأى فيها تمثال نَعْل النبىّ صلّى اللهُ عليه وسلم ، فقبَّلَه وقال :

دارُ الحديث الأشرفية للشِّـفَا ... فيها رأت عيناىَ نعلَ المُصطفَى

ولثَمته حتى قَنَعت وقلتُ يا ... نفسى أنعَمى أكفَاكِ؟ قالت لى: كَفى

لله أوقاتٌ وصلتُ بها المُنى ... من بعد طَيْبَة ما أجلَّ وأشرفا

لكِ يا دِمَشْق على البلاد فضيلة ... أيامُكِ الأعيادُ لازَمها الصَّفا

ولـكمْ بجَيْرُونٍ جرَرْتُ ولم أخَفْ ... ذيلًا وَبَرْحُ هواىَ فيها ما اختفى

* * *

وللشامى الخزرجى فى ذلك

قلت : ومما أنشدنى الفقيه الأريب ، العلاّمة الأديب ، الحاجّ الرّحال ، أبو الحسن صاحبنا ، سيدى على بن أحمد الشامى الخَزْرجى لنفسه ، فى تمثال النعل الـكريمة ، قولُه نفعه الله بقصده ، وكتبه لى بخطه ، وكنت طلبت منه ذلك ، لأثبته فى هذا الموضوع :

دَعُوا شَفَةَ[1] المشتاق من سقمها تُشْفَى ... وتَرْشُف من آثار ترْبِ الهدى رَشْفَا

وتَلْثِم تمثالًا لنعلٍ كريمة ... بها الدَّهْرَ يُسْتَسْقَى الغمامُ وَيُسْتَشْفَى

ولا تصرفوها عن هواها وسُؤْلها ... بعَذْلـكم فالعدلُ يمنعها الصَّرْفا

ولا تَعْتِبوها فالعتـاب يَزِيدها ... هُياما ويسقيها مُدام الهوى صِرْفا

جَفتْها بكتْم الدمع بُخْلًا جُفونُها ... فَمَنْ لامها فى اللّثم فهْوَ لها أجْفى

(١) اكتفت م هنا بالإشارة إلى مطالع القصائد والمقطوعات التى ذكرها المؤلف لأبى الحسن على بن أحمد الشامى ومن بعده ، إلى أن وصلت الـكلام بالموضوع الأصلى ، وهو ذكر من استجازه القاضى عياض ، ومنهم الزمخشرى .

لئنْ حُجِبَتْ بالبُعْد عنهم فهذه مكارمُهُمْ لم تُبْق سِترا ولا سَجْفا
وإن كان ذاك الخيفُ مَوعدوصلاهم فها نَفْحَةُ الإفضال قَرَّبت الخَيْفا
وأغنت بفضل عن مشقة شُقَّةٍ نُـكابد مَسْراها شِتاء يلى صيفا
فحركتِ الأشواقَ منـا لروضةٍ أباح لنا الإسعادُ من زهرها قَطْفا
زمانا به موصـــولنا نال عائدا وأكَّد نَعْتُ الوصل من نحوهم عَطْفا
تولّى كمثل الطّيف إذ زار فى الـكَرَى وإلاَّ كمثل البَرْق إذ سارع الخَطْفا
تقضَّى وما قضَّى بلـُبْنَى لُبانةً اقيسِ الهوَى والحبِّ منا وما استوفى
فزُلْنا وما زِلْنـا نُعلِّل باللقـا نفوسا وما تُجْدِى لعلَّ ولا سوْفا
كأنَّا وما كنَّا نجوبُ مَنازِلاً يود بها المشتاق لو رَاهَق الحَتْفا
ولم تُبصرِ الأبصار منها محاسنا ولم تسمع الآذان من ذِكرها هَتْفا
كذاكَ اللَّيالى لم تحُل عن طِباعها متى واصلتْ يوما تصلْ قطعَها أَلْفا
فلا عيش لى أرجوه من بَعْد بُعْدِهم وهيهاتَ يرجو العيشَ من فارق الإلْفا
ويا حبَّذا قتلٌ إذِ العيش لم تزَل سيوف الهوى تَفْرِى به القلبَ والجوفا
ومَنْ لى بقتلٍ فى سبيل الهُدَى التى وُعِدْنا عليها بالجنان ومَنْ أوفى
أيا من نأت عنه ديار أحبـةٍ فمن بعدِهم مِثْلى على الهُلْك قد أَشْفى
لئن فاتنا وصلٌ بخَيف مُناهم فها نفحةٌ من عَرْفهم للحشا أشفى
وهاتيك أزهارُ الرياض تنفست بأنفاسهم فاستَشْفِيَنَّ بهـا تُشفى
وقل للألى هاموا اشتياقا لِبانِهم هلُمّوا لِعَرْف البان نستنشق العَرْفا
فصفحة هذا الطِّرس أبدَتْ نِعالَهم وصارت لها ظَرْفا فيا حُسْنَه ظرفا
تعالَوْا تَغالَوْا فى مديح علائها فرُبَّ غلوٍّ لم يَعِب ربَّه عُرفا
ولله قومٌ فى هواها تنافســوا وقد غرَفوا من بحر أمداحها غرفا

[٧١٥]

وإنّا وإنْ كُنا على الكُلّ لم نُطق ... نحاول بعضَ البعض من بعض ما يُلفَى
لئن قبّلوا ألفا نَزِدْ نحن بعدَهم ... على الألف ما يستغرق العَدّ والأَلفا
وإنْ وَصَفوا واستغرقوا الوصفَ حَسْبُنا ... نُجيل بروض الحُسْن من وصفهم طَرْفا
ونقبِس من أنوارهم قدرَ وُسْعنا ... ونَركض فى مِضمار آثارهم طِرفا
فمن قال بدرُ التِّمّ أو طلعةُ الضحى ... أو الروضُ يحكيها فما أنصفَ الوصفا
فما الشمسُ إلا من محاسن ضوئها اســـتنارتْ ولولاها للازمتِ الكَسفا
وما البدرُ إلا من مشارق نُورها اســـتَمَدّ ولولاها لما فارق الخَسفا
وما طاب نشرُ الروض إلا لأنّه ... يُعَدّ مَدى الأيام من نَشْرها عَرْفا
وما اخضرَّ تُربُ الأرض إلا لأنها ... تخطّته فاختط النباتُ به حَرْفا
فحَلّوا بها أعلى المفارق واكْحَلوا ... بها مُقْلة العينين أو عطِّروا الأنْفا
فآثارها تُبرى الجوَى وترابُها ... لسُقْم الحشا والقلبِ أنفعُ أو أشفى
لها الفخر أن سارت بها رجلُ من سرى ... إلى حضرة التّقديس والقُرب والزُّلفى
ونُودِىَ لا تخلعْ نعالك واقرُبَنْ ... وأَلْقِ بها من نفحة الحُبّ ما ألفى [٧١٦]
وأدناه قُرْبًا قابَ قوسين ربُّه ... وناداه قُلْ تُسمع وسَل تُعْطَ عِدتُكفى
نبىٌّ به نلنا المُنَى وتواكفت ... علينا من الرحمٰن سحبُ الرِّضا وَكْفا
تعلّى على العلياء حتى أنار مِنْ ... عُلاه العُلا والغَوْرَ والنَجْدَ والخيفا
وقاتل فى إظهار أنوار دينـــه ... جميعَ العِدَى حتى زَوَى الضّيمَ والحيفا
وكان إلى الهيجاء أوّلَ سابق ... وما فارقَ العَضْبَ المُهَنّد والسيفا
هَواهُ هَدَى الهادين منه إلى الهدى ... وحُبُّه أَهْدَى الواردَ المَوْردَ الأصفى
وآياته كالزَّهْرِ والزُّهْرِ نفحـــة ... وعَدًّا فمن ذا يستطيع لها وصفا
كفَتْ كفُّه الجيشَ اللُّهام عَن الحيَا ... وكفّتْ جُيوشَ الكفر عن غيِّها كَفّا

وُرُدَّت له الشمسُ المنيرُ شعاعُها كذا البدر بعد التِّم صار له نِصْفا
وجودُه أجْدى من رياحٍ عواصفٍ ومن ذا يُبَارى الريحَ إن رامت العصفا
أمولاىَ يا مولاىَ يا خيرَ سيّد تسامَى على الأشباه طُرًّا مع الأكفا
نأتْ بىَ عنكم مُوبقاتٌ جنيتها وعفوكُمُ من كُلِّ كُلْفٍ بها أكفى
وهأنا عند الباب راجٍ وخائفٌ دموعىَ لا تَرقَا وشَجْوىَ لا يُطفَا
أناديك يا خير البرية كلِّها نداءَ عُبَيد يَرتجى العفو والعطفا
وإنِّى محق فى هوى حبكَ الذى يَفُلُّ جيوش الهَمِّ إنْ أقبلتْ زحفا
وما أنا فيه كالذى قال هازلًا «ألَيْلَتَنا إذ أرْسَلت واردا وَحْفا»(١)
فآها لنفسى ثم آها إذا أنا طُرِدتُ ويا لهفَا أرَدِّدها لهفا
وواحسرتَا يا حسرتا ثم حسرتا إذا لم تكن فى موقف الحشر لى كهفا
ولكنَّ لى ظَنًّا جميلا بنسبتى لأنصاركم يا خيرَ من راقب الخِلْفا
كما أنَّ لى أيضا مُتَاتًا بمِدْحتى نعالا بها نيل العُلى والمُنى يُلفى
أبى النظمُ يَسْتَوفى حِلاها وهل يَفِى رَوِىٌّ بآثار الهدى ألِفٌ أوْفا
عليك صلاة ما بدا بدر تِمِّكم وما اشتاق مشتاقٌ إلى وعدك الأوفى

* * *

وله فى الفرض نفسه

ومما أنشدنيه أيضا لنفسه فى ذلك قوله :

مثالُ النعل فى القرطاس خَطَّا بسُمْر الشَّوْق فى الأحشاء خَطَّا
ولما أن لثَمْتُ ندَى ثَراه وغَشَّى نورُه جفنى وغطَّى
شممْتُ الوَرْدَ مِن ريَّاه يَنْدَى وشِمْتُ البدر من عَلياه حَطَّا
[٧١٧] ففجَّر لى من العينين بحرا ونَثَّرَ من لآلى الدمع سِمْطا

(١) يريد : قول محمد بن هانئ الأندلسى فى مطلع قصيدة له :
أليلتنا إذ أرسلت واردا وحفا وبتنا نرى الجوزاء فى أذنها شنفا

ورَوَّى من جماد الجَفْن جسمى ... وأورَى من زِناد الشوق سَقْطا
وهزَّ من الهوى عِطْفَ ارتياحى ... لأرضٍ لم تزل تزدادُ شَحْطا
وذكَّرَنى معاهدَ لستُ أنسَى الْـ ... ـمَزارَ بها ولو بالبُعد شَطَّا
معاهدَ خيرِ من ركب المطايا ... وأكرمِ من خطَا نَعْلا وأَوْطا
بأخْمَص رِجْله الحسناء حازتْ ... مفاخرَ لم يُطِقها الوَصفُ ضبطا
سمتْ فسعتْ لها زُهْرُ الدَّرارى ... لتَلْثِم رُكْنَها وتَطُوفَ شَوْطا
فكلَّتْ دونَها وسَطَتْ عليها ... ولا بِدْعا بذاك الفخر يُسْطى
فمن قال الهلالُ لها مثالٌ ... لعمرُ الله فى التمثيل أخطا
ولكنَّ البدورَ لها نعالٌ ... تودُّ بها تُداسُ عُلًا وتُخطَى
وما طلعتْ عيونُ الشمس إلا ... لطلعتها ترومُ بها مَحَطَّا
وما رقصتْ غصونُ النبت إلاّ ... لعَلْياها تحطُّ الراسَ حَطَّا
وما غنّتْ طيور الأيْك إلاّ ... عليها تَعتلِى الأغصانَ حَوْطا
وما حنّت حُداةُ العِيس إلاّ ... إليها تبتغى أَثْلاً وخَمْطا
وما هبّتْ نسيمُ المِسك إلا ... لريَّاها تنال بذاك خَلطا
ولوْ يوما تخطّتْ أرضَ جدْب ... لما أَلْفَتْ بها فى الدهر قَحْطا
يحِقُّ لنا نعظِّمها جلالا ... ونربِطُ طِرْسَها بالقلب ربطا
ونتعل الوجوه بها جمالا ... ونجعلها على الآذان قُرْطا
وتَعتصِب المَفارقُ من ثَراها ... وتكتحل العيونُ بذاك شَرْطا
نعفِّر وَجْنَةً فيها وخَدًّا ... ونَخْضِب من سواد الرأس شَمْطا
ونُنشد من يعاتب فى هواها ... « إليك خبطتُ من عشواء خبطا »
ودعنا والهوى إنَّا أُناسٌ ... يَزِيد غرامُنا بالعَتْب فَرْطا

وإنا معشرَ العُشّاق مِمَّن … يَرَى جَوْرَ النَّوَى والبعْدِ قِسْطا
ونقْنَع بالخيال مدى الليالى … وإن طال التَّباعُد أو تشطَّا
ولا سِيَما المثالُ وقد تبدَّى … يَجُرُّ عَلَى عُلَا الجوزاء مِرْطا
[٧١٨] وما نعْلاً نريد ولا مِثالاً … ولكن من بها العَلْيا تخطَّى
نبيٌّ إن أتيتُ إلى حِماه … وجدتُ سماحة فى الخُلْق بسْطا
أتى والدينُ أصبح فى انقِباضٍ … فعاناه إلَى أن نالَ بَسْطا
وقاتلَ فى سبيل الله حتى … أزالَ عن الورى قَنْطا وضَغْطا
وعَمَّتْ دعوةٌ منه وعمَّت … بآيات الهدى فُرْسا وقِبْطا
فطوبَى للَّذى لبَّى سريعا … ويا ويلَ الذى عن ذاك أبْطا
سما لسما العَلاءِ فنال قرْبا … وهمّ بنعله نَزْعا وكَشْطا
ونُودِىَ طَأْ ولا تخلع نعالا … وأبدِلْ من مَقام الرَّوْع بسْطا
وأيَّدَهُ الإله برُوح قُدْسٍ … ومَدَّ له من التقديس بسطا
وعَظَّمَه على الأرسال طُرًّا … ونَظَّمه بذاك العِقْد وُسطى
هُناك حَبَاه فرضا من صلاة … بها عَنَّا الذنوب تُصِيب حَبْطا
وسدّده إلى أن جاء موسى … وردَّدَه إليه يَروم حَطّا
إلى أن صير الخمسين خمسا … وأبقى أجرها والإصْرَ حَطّا
وأعطاه الشفاعة يومَ حشر … يقول أنا لها والناس قَنْطَى
وتَعْجِزُ دونها الأرسال طُرًّا … وتأتى الناسُ سِبْطا ثم سِبْطا
إذِ الجبَّار يبرُز بانتقام … ويُبْدِى للوَرَى غَضَبًا وسُخطا
فيُدْنيه ويلهمُه بفضل … محامدَ مثلَها ما قطُّ أعْطَى
ومهما رام يشرَع فى سجود … ويضرَع بالدُّعا ويخِرّ هَبْطا

يُنادَ ارفع تُطَعْ واشفَع تشفَّعْ وقل يُسْمَعْ وسل ما شئتَ تعطَى
فيَحْظَى بالمراد قريرَ عينٍ بما أولاه تَكْرِمةً وغَبْطا
ويَصدُر شافعًا فى كلِّ عاصٍ مُصِرٍّ دَنَّسَ الأعمال وَخْطا
ويُخْرِجُ مَن له أدنى نَوَاةٍ من الإيمان والنيران فَرْطا
جزاه الله عنا كلَّ خير وحاط به ديار الدين حَوْطا
ولا زالت صلاة الله تترَى عليه ما بدا بدر وغَطَّى
تَفوح وخَتْمُها مِسْك عبيق يعُمّ عبيرُه آلاً ورَهْطا

* * *

وللشامى أيضا فى النعال مكملا ما سقط من كلام ابن فرج السبتى

وأنشدنى أيضا لنفسه فى ذلك ، مكمِّلا ما سقط من الحروف من كلام ابن فرج السَّبتى المتقدم الذكر قولَه جاريا على طريقتِهِ : [٧١٩]

قافية الواو

وقفتُ على تمثال نعلٍ كريمةٍ فأحييتْ برسم الشوق مِنّىَ ما أقوَى
وأيقنتُ أنّى إذ ظَفِرْتُ بلثْمِها تمسَّكتُ فى أُخْرايَ بالسبب الأقوى
وناديتُها يا نعلُ عُذْرًا فإننى على مَدْحِ بعضٍ من معاليكِ لا أقوى
وطِئْتُ رُبوعا للهدى ومغانيا عُلاها على الرضوان أُسِّس والتَّقوى
ولامسْتُ رِجْلا لو يطاوِعُ تُرْبُها ثُرَيَّا السما شَدَّتْ لتقبيله حِقْوا

قافية لام الألف

لآلِى نعالِ المجد أهْلا بها أهلَا وشُكْرًا لأنْ كُنَّا لتقبيلها أهْلا
لآلِى رسُولٍ مَسَّها جِلْدُ رِجله بها وِرْدُ فَخْرٍ يَعْذُبُ العَلَّ والنَّهْلا
لآدمَ هذا الفخرُ أيضا لأننا بذى النعل أُنْقِذْنا الغَوايةَ والجهلا

لأُقسِمُ يا من لَامَ فيها عليكَ لا ... تعذِّبْ بتَعْذَالى(١) ومهلا به مهلَا
لأنّى غريقٌ فى هوَى حُبِّها وكم ... مُحِبٍّ يرى التعذيب فى حبِّها سهلا

قافية الياء

يوَدُّ لسانى أن يؤدِّىَ مَدْحها ... نعالا فيُعْيينى عُلاها وحَرْفُ الْيَا
يؤدِّى ولكن لا يُطيقُ كمالَهَا ... ولو أنَّهُ يَفْلِى بيان الوَرَى فَلْيا
يَمِينًا وإنِّى فى يمينىَ صادِقٌ ... لَحِلْيَتُها صِيغتْ من الجنَّة العُليا
يواقيتُ سرِّ الكون والجودِ رُصِّعَت ... بها وطأَةُ التقديس فانتظمتْ حَلْيا
يُوَارِى عُلا رجلٍ عَلَى من مشى بها ... سلامٌ مَدَى ما أُزداد من ربه وَلْيا

* * *

وأنشدنى أيضا لنفسه فى ذلك قوله : ... وله فى ذلك أيضا

هـذى نعالُ أحمدِ ... مولَى المقام الأحمدِ
فاشكرأخى إذ شِمْتَ من ... بَرْق سناها واحمَد
واكْتَحِلَنْ بتُربِها ... فهو شفاء الأرْمَد
وارشُفْ ثرَاها إنَّه ... يَجلِى صدا القلب الصَّدى
والْمِسْ بَهَاءَ طِرْسِها ... تنَلْ كمال المقصِد
واقبِسْ سَنًى مِن(٢) نورها ... فهْىَ سرَاج المهتدى
كم من إمام أمَّها ... وبِهداهُمُ أُقتدِ
وضَمَّها لصدره ... ضَمَّةَ ذى تَوَدُّد
لها خصالٌ جمة ... تُرْبِى على التعدّد
من لم تزل فى بيته ... يحظَى بعيش رَغَد
[٧٢٠]

---

(١) كذا فى ط ، ص . وفى هامش ص : « بتفنيدى » . وفى م : « بتقنيطى » .
(٢) فى الأصول : « سناء نورها » . ولعله تحريف عما أثبتناه .

يُضْحِى ويُمْسِى آمنا   فى كل يوم أو غدِ
لا يَمترِى فى فضلها   سوى غَبِىٍّ أَوْغَد
أو جاهلٍ بقــدرها   أو جاحد أو مُلْحِد
كم أبرأتْ من عِلة   من كل داء مُجْهِد
وكم أبانت منْ هُدًى   بنــورها المؤيَّد
وكم أبادَتْ من عِدًى   بسيفها المُهَنَّــد
وكم أجارت من حِمًى   بركنها المُشَـيَّد
فهْىَ أمانُ خائف   وهْى رجاء القُصَّــد
وهْى عماد المُلتجِى   وهْىَ مَراد الرُّوَّد
بالغ أخى فى مدحها   واشْدُدْ بأَزْرِى واعْضِد
وانسُب لها ما شئت من   فخر ولا تُفَنَّــد
وقف هنا هُنَيهــة   وِقْفَة صَبٍّ مُسْعِد
وانهَض إلى تقبيلها   نَهْضَة خِلٍّ مُنْجِـد
وقل إذا قبَّلتَهَـا   مقــالة المستنجـد
يا أكرم الخلْق الذى   قد حاز كل سودُد
يا مصــطفًى آثارُه   بها الأنام تهتــدى
ويا مُجِــير خائفٍ   من كل سوء يَعْتدى
ويا مجيبَ ســائل   إذا أتاه يجتــدى
عُبَيْــدُكُمْ ببابكم   حيرانَ ذا تردُّد
وَافى عُــلاكَ تائبًا   منْ ذَنْبِــه المعدَّد

يَرفعُ من مديحه إلى عُلاك الأمْجَد
عقائلا تُنْسَق من دُرٍّ ومن زَبَرْجَد
تَحْكِى عُقود جوهر أقسامُها من عسجد
فامنُن له بعَطْفَةٍ من فضلك الممجَّد
ونَهْلَةٍ من حَوْضك العذب اللذيذ المَوْرِد [٧٢١]
ووَقفةٍ بروْضك الغَضِّ النَّدِى المُوَرَّد
وزَوْرَةٍ لقَبْرِك المَرضِى الزَّكِىِّ المَاجَد
وأَوْبَةٍ له عسى يكون ثَمَّ مَرْقدى
صلى عليك الله ما بدَا ضياء الفرقد
والآلِ والصحب الأُلى فازوا بكل الأسْعُدِ
ومن أتى مِنْ بعدهمْ من كُلِّ حَبْرٍ أَوْحَد
ومَنْ تلاَ جميعَهم ما زُمَّ ركبٌ أو حُدِى
ورُدِّدَتْ من مُنشدٍ هذى نعالُ أحمد

* * *

وأنشدنى أيضا لنفسه فى ذلك الغرض : وله فى ذلك أيضا

نعالٌ بها يُشْفَى العليلُ من الجوَى وتُجْلَى بها عنه المصائبُ والبلوَى
هى البرء إلا أنَّ شُربَ دوائها لذائقه أحْلى من المَنّ وَالسَّلوى
هلموا نُقبّلْ تُرْبَها فعسى به نُخَمِّدُ جمْرا من لظاها الحَشَى تكوى
فرُبَّ عليل جاءه من طبيبه بشيرٌ نخفِّفُتْ عنه من حِينه الشكْوَى

* * *

وله يضا

وأنشدني أيضا لنفسه في ذلك :

أتتْ شمس السماء تَحُطُّ رأسًا لهذى النعلِ من دون النعال[1]
وتلثم تربَها ذُلّا لتحْظَى بما رامته من رُتب المعالى
فقال لها الهلالُ وقد رآها أتخضع لا محالة للنعال ؟
فنادته أَبْتَدِرْها لا تؤخر فيَفْتَضِحَ المُعالى بالمَعالى

* * *

وله مخاطبا المؤلف راغبا في إثبات هذه المنظومات في أزهار الرياض

[وخاطبني في هذا الغرض ، مشيرًا إلى إثبات هذه المنظومات التي سمحت بها قريحته ، في هذا الموضوع :

أَمُفْتِيَ فاسٍ زَنْدُ شَوْقِيَ قد وَرَى بخير الوَرَى فانقاد طَوْعَ عِنان
وهبَّتْ صَبَا نَجْدٍ فهاجت صَبَابتى وَساعَدَ بَلْبالى بيانُ بَنانى
وصالتْ على أوصال فكرى فأقلعت عرائسُ غَرْسٍ من جِنانِ جَنانى
وقدْ ذَوَتِ الأغصان وانْتَثَرتْ بها أزاهِرُها تَحْكِى نثير جُمان
وهذا أَوَانُ الغَرْس جودوا بنقلها لروْضِكُمُ تَحْظَى بنيْل أمان]

* * *

ولْنرْجع بعد هذا المقدار إلى ما كنا بصدده ، فإن مثل هذا الغَرض لاسبيل لحصر عَدَدِه ، فنقول :

[بين القاضي عياض والزمخشري]

عياض والزمخشرى

وممن استجازه القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله ولم يجزه :

الزمخشريُّ صاحب الكشاف ، سامحه الله .

(١) في ط ، ص : « انتقال » ، وفي هامش ص : « انتعال » ، ولعلهما محرفتان عما أثبتناه .

وسمعت غير واحد ممن لقِيته يُخْبِر أنَّ القاضِيَ عِيَاضا لمّا بلغه امتناع الزَّمَخْشَرِيّ من إجازته قال : الحمد لله الذى لم يجعل علىَّ يَدًا لمبتدِع أو فاسق ، أو نحو هذا من العبارات ، والله أعلم .

وإمامة الزَّمَخْشَرِيّ فى العلوم معروفة ، ولكن أعِنَّة القلوب إلى من بيده [٧٢٢]
التوفيق بِضدّه مصروفة . ولا بُدَّ منَ الإلمام ببعض أحوال هذا الرجل ، الذى اختلفت فى أمره الآراء وآنس من جانب البيان والنحو نارا ، وأنكر الحقّ وقد وضح نهارا ، وذكر بعضهم أنه تاب ويأبى ذلك تصريحُهُ فى كشّافه بما خالف السنة جهارا ، فإنه لو صحّ ذلك لمحاه ، أو أشهد على نفسه بالرجوع عما قصده فيه وانتحاه ؛ وكثير من الأئمة أغْضَى عَنِ اعتزاله ، وانتفع بكشّافه مع مع قطع النظر عن موضع التهمة واختزاله .

[بين الحافظ السلفى والزمخشرى]

استجازة الحافظ السلفي الزمخشري

وممن استجازه(١) فأجازه الإمام الحافظ أبو الطّاهر السِّلَفِيّ الأصبهانى ، المتقدم الذكر ، رحمه الله ، فإنه خاطبه فى ذلك بما نصُّه بعد البسملة :

إنّ رَأْى الشيخ الأجلّ العالِم العلاّمة أدام الله توفيقه ، أن يُجيز جميع سَماعاته وإجازاته ورِواياته ، وما أَلَّفه فى فُنون العلم ، وأنشأه من المقامات والرسائل والشعر ، لأحمدَ بن محمد بن أحمد السِّلَفِيّ الأصبهانى ، ويذكرَ مولدَه ونَسَبه إلى أعلى أبٍ يعرفه ، ويُثْبِتَ كلَّ ذلك بخطه تحت هذا الاستدعاء ، مضافا إليه ذكر ما صنّفه ، وذكرُ شيوخه الذين أخذ عنهم ، وما سَمِع عليهم من أمهات المهمات ، حديثا كان أو لغةً أو نحوا أو بيانا ، فَعَلَ مُثابا ؛ وإن تَمَّمَ إنعامه بإثبات أبيات قصار ، ومقطوعات فى الحِكَم والأمثال والزهد وغير ذلك ،

(١) الضمير هنا يعود على الزمخشرى .